www.kotobarabia.com

رواية

www.kotobarabia.com

القضاء المفروض

مناني فراح

﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾

رواية

القضاء المفروض

بقلم / فرح منانى

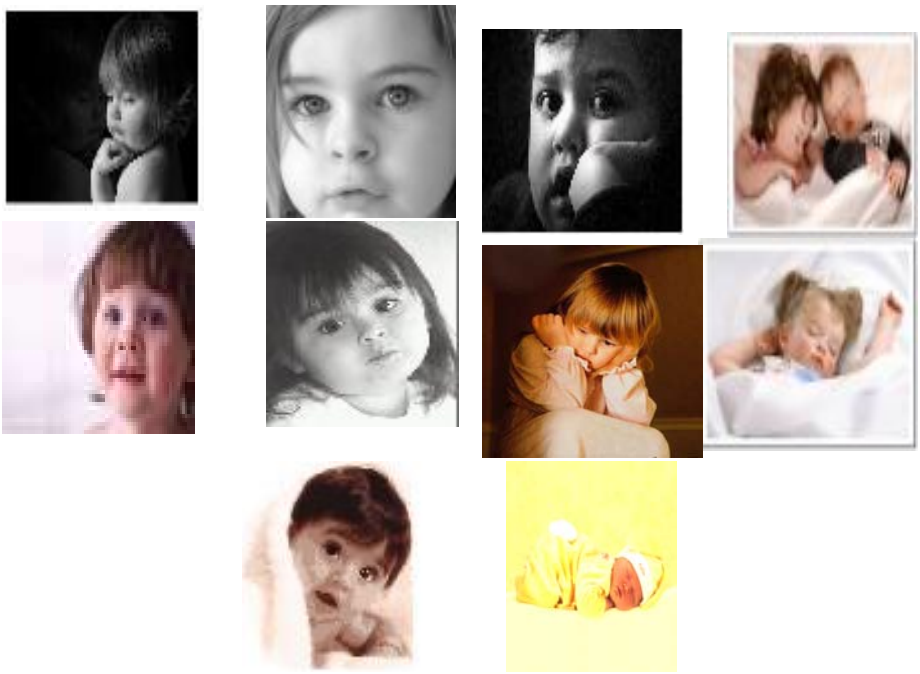

فهرس

كلمتي ..... – ٥ –
مقدمة ..... – ٨ –
(الأحداث الأولى لنشأة التطرف الإرهابي في الجزائر)..... – ١١ –
مثلث الموت الخطير ..... – ١٧ –
المجزرة الأولى (في المنطقة ٣ من القرية) ..... – ٢٠ –
المجزرة الثانية في المنطقة الرابعة ..... – ٢٤ –
أهداف الجماعات ..... – ٣٠ –
عملياتهم كانت تستهدف عدة غايات في نفس الوقت ..... - ٣٠ -
الإكراه ..... – ٣١ –
التعسف ..... – ٣٥ –
التعذيب:..... – ٣٧ –
وعلى الصعيد السياسي إحصائيات رسمية للمفقودين ..... – ٣٩ –
الرحيل إلى الأبد..... – ٤٠ –
خيط الإبرة:"سمن الخياط" ..... – ٤٣ –
المجزرة في المنطقة الثالثة..... – ٤٨ –
الرجل المستتر..... – ٥٢ –
الصدمة ..... – ٥٤ –
خطط المجرمين ..... – ٥٧ –
حياة السبي ..... – ٥٨ –
ليس في اليد حيلة..... – ٦٠ –
أحمرة تقودهم أسود:..... – ٦١ –
ماذا كان مصير "الأمير؟؟..... – ٦٢ –
ضم الصفوف..... – ٦٣ –
الجريمة الخائبة..... – ٦٥ –
أحداث إجرامية مختلفة..... – ٦٧ –
خدعة نقطة التفتيش..... – ٧٠ –
عذاب آخر ..... – ٧٢ –
العثور على القبور الجماعية ..... – ٧٤ –
مرح في أم الدنيا ..... – ٧٥ –
الوقوع في الظلالة..... – ٨٦ –
الإرهاب عدو الحضارة..... – ٨٩ –

الرجل المستتر يعود من جديد..... – ٩٢ –
صرخة تائب ..... – ٩٣ –
الرحيل..... – ٩٤ –
بين مدار الحقيقة..... – ٩٦ –
تحدي الأزمتين ..... – ٩٩ –
السلام أولا ..... – ١٠١ –
ساعات الحقيقة ..... – ١٠٦ –
هذا هو مصير الأمير ..... – ١٠٧ –
قبل الرحيل..... – ١٠٩ –
مرح في أمريكا:(معاناة جديدة)..... – ١١١ –
القلب الطيب..... – ١١٣ –
لكوبرا في الطريق..... – ١١٥ –
طريق التوبة:..... – ١١٧ –
حقيقة الإسلام..... – ١٢٠ –
التكافل ..... – ١٢١ –
التهمة الباطلة:..... – ١٢٢ –
التعذيب النفسي والجسدي ..... – ١٢٣ –
بعد الألم..... – ١٢٦ –
القافلة المحزنة..... – ١٢٧ –
البراءة جولة الباطل ساعة، و جولة الحق إلى قيام الساعة "..... – ١٢٨ –
الوداع..... – ١٣٠ –
عودة مرح إلى الوطنين..... – ١٣١ –
عين الحقيقة وميلاد جديد للوطن ..... – ١٣٢ –
القرضاوي يؤيد بوتفليقة للمصالحة والجماعات لإلقاء السلاح..... – ١٣٥ –
خـــــاتمـــــة ..... – ١٣٦ –

كلمتي

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على الرسول محمد الأمين وعلى أهل بيته الطاهرين وعلى صحابته أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

منذ سنوات عندما عقلت ما حولي وأدركت أن هناك صراع مرير بين الباطل والحق بين الشر والخير رغبت في جمع الحقائق والخفايا المستترة فوضعتها ودونتها في هذا الكتاب معنونا بهذا العنوان: القضاء المفروض، فسلكت بتوفيق من الله تعالى مسلكا في جمعها وتأليف الوقائع فكان يشير إلى معاناة الشعوب العربية والإسلامية التي جعلتني أقف أمام واقع آخر لم يمس الجزائر فقط بل انتقلت جذوره إلى البلدان الأخرى.

فباتت الخيبة تلازمني كخليل لا يفارقه خليل وشموع الأمل انطفأت عندما صدمت بالإرهاب في مصر والأردن والسعودية ولبنان والمغرب والأردن..... وغيرها من بلدان العالم التي أفزعت الجميع من قريب أو بعيد فلم يدركوا ما يفعلون إزاء هذه الحرب الهوجاء في كل شبر من الوطن العربي الغالي الذي لا ناقة له ولا جمل بل الآمال التي فقدت معانيها بين هذا وذاك.

فرصدت الأساليب الوحشية التي مارسوها بأعمالهم الإجرامية والإرهابية علينا التي تفوت شراسة وبشاعة في واقع مؤلم عانته العرب والمسلمين انطلاقا من داخل بلدانها ومن خارجا أيضا.

وقفت على هذه الرواية التي اعتبرتها ثمرة من أغلى الثمار لما فيها من عبر لهؤلاء الضحايا الذين صبروا على قضاءهم وقدرهم ودينهم التي أجبرتهم بها ظروف قاسية مختلفة عانوا منها من الظلام الحالك الشديد الذي غطى سماء حياتهم حيث تم ظلام الظلم والفساد والشر والألم.

وما يهمني في واقع الأمر لا نبش الجروح ولا إثارة الفتن والمشاعر والأحزان ولا البكاء على الأطلال ولا الانتقام ولا الاتهام ولهذا أو ذاك بالرغم من انه آلمني حقا كل هذا وعكر فرحتي وصفوة حياتي كلما ازداد الظلم.

فرائحة النكبات التي مرت بنا وفقدنا أبريائنا فيها والتي أشعرتنا بالتشاؤم وأهالت اليأس على قلوبنا ما استوقفتنا إلا لننهض من جديد لننفض الغبار عن كتاب المآسي والأحزان ونكف ذرف الدموع التي لن ترجع الغائبين، بل ستقتل أمانينا وستذبل كل ورود بساتيننا التي زرعناها بأيدينا بل استوقفتنا حتى نضمد جراحنا العتيقة بكفن الأمل الذي كفنا به أبريائنا ومن

نحبهم لنعيد الأمل من جديد والبسمة على شفاه كل صغير، لنعيد الحمامة إلى صغارها والبلبل إلى حجره مغردا والعصفور إلى عشه مغردا أحلى النغمات، وإلى دنيا المحبة والأخوة والتكافل بين الجميع إلى دنيا كما أرادها الله بالحق والعدل بصد تلك الصدمات من جديد ومؤامرات التحالف خلف الكواليس المظلمة التي كنت أتمنى من كل العرب والمسلمين أن يكونوا سراجا متينا ومضيئا فيكشفوا ما يخططونه نحونا بذكاء، لأنهم أدخلونا إلى جحيم ارتسمت فيه علائم الأحزان والاستفهام على شفاه كل عربي ومسلم الذي قاسى ما قاسى في ظل الاستعمار وزدنا الطين بلة في هذه الإجرامات والإبادات والتخريبات والمؤامرات والخيانات.

فيجب أن نمشي قدما ويجب أن نكون عمليين نصنع حضارتنا بأنفسنا ونبني بنية مجتمعية عربية إسلامية قوية تتصدى الباطل وأعداء العرب والإسلام، حتى يذوقوا بنا ذرعا بالحق.

فالعبرة من هذه الراوية أن قدمت رسالة أوجهها للجميع وادعوا فيها إلى ما دعت إليها الجزائر، مصر، لبنان، سوريا، السعودية والأردن والكويت وباقي البلدان العربية والعالم ككل، من ضرورة التعاون الدولي في مكافحة هذه الظاهرة وتصدي الأعمال الإرهابية التي تتنافى مع الإسلام ومع القيم الإنسانية، لمطاردة خفافيش الظلام بإقناع العالم الغربي والأوروبي أن معادلة "كل عربي ومسلم إرهابي "فلا تصلح ولا تصح دائما بالرغم من وجود فئة حاضنة للإرهاب تدعمهم فهذا لا يؤدي كون أن كل عربي ومسلم يعد بالتالي إرهابي.

يجب قص أصابع الاتهام إلينا وإلى الإسلام بالذات الذي هو دين تسامح وفضائل ودين أمن وسلام وبالتالي كيف تعايش مع الأمم السابقة أكثر من ١٤ قرنا كلها لو كان غير ذلك.

فقدمت هذه الرسالة ودونتها بعنوان وضعته على المظروف **القضاء المفروض** الذي يوحي معاناة ومأساة العالم الإسلامي والعربي في زمان يلوح له نور آخر في هذا الحجر المظلم الذي رسمت فيه ملامح كل فرد قد عانى من ويلات الإرهاب وكل تلك الثورات الدموية التي بدأت ولم تنتهي وهي ترفع شعار الديمقراطية والحرية.

فلا أريد أن تتكرر هذه المأساة في عالمنا، فبدون شك خنجر الإرهاب وأشواكه ستضل مغروسة فينا إذا بقينا مترافقين مع انحطاط الوعي والقيم والتخلف والتطرف عن مبادئ ديننا التي جعلتنا دائما في الخط الآخر المعاكس بعيدا عن الدول المتحضرة، وتدارك الأخطاء ليس عيبا بل العيب في أن نتمادى في أخطائنا ولا نقف منها، فبالتسامح والتضامن والصلح نتماسك ونتوحد في بناء مسار الأمان لنا ولأجيالنا القادمة.

وآخر دعواي أن أقدم هذا الكتاب وهذه الرواية بروح الإخوة الطاهرة، والنظرة الصائبة التي تلمس قضية واقعية بالحس الإسلامي والعربي، لهداية الحيارى والباحثين عن

الحقيقة، عن الخير والحق، عن الأمل والسلام، بإرشادهم إلى تعاليم الإسلام الحقيقي وبيان كل الخرافات المدسوسة حوله وكشف زيفهم له حتى لا يبقى أمامهم سوى شعاع ديـــن الإســـلام الحنيف المعتدل، وبهداية الفئة الضالة ببنائهم الذهني الفاسد والمتطرف، فلا تجعلوا من العرب والمسلمين أسطورة تاريخية للإرهاب التي تري دينا يحض على قتل الآخرين ويبث الرعـــب في نفوس الآمنين لقوله سبحانه تعالى: ﴿**وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ**﴾.

بقلم فرح منانـي

مقدمة

ها أنا اروي قصة أمتي وبلادي وعن ما فاتنا من ركب وحضارة فهل اروي لكم عن الاستعمار وما خلفه من دمار للعقول والأفكار أم اروي لكم كيف أتعبنا كل هذا بضروب مختلفة من الجحيم في صميم الحضارة في تصوير للتيارات السياسية المتنازعة بين الملكية والديمقراطية وعن تقلب الحقائق إلى نقيضها وعن عذاب الشعوب المقهورة المعذبة المغلوبة على أمرها لكن في ظل كل هذا العذاب أخذنا الدنيا غلابة وبزغ فجر آخر وطلت شمس أذابت القيود المتينة وفرحت الشعوب بما حققته حتى نسينا الواحد المعبود: **(١٩٥٤ -١٩٦٢، وهذا يعني الاستقلال الجزائري من الاستعمار الفرنسي وأمثال الدول الأخرى)**

فانقسمنا باتباع منهج شرق وغرب واختلطت المفاهيم وظهرت حركات سياسية تستعطف الشعوب والشباب وتسلب الأذهان والعقول بينما الأنظمة الأخرى منهمكة في سياسة الظهور والزعامات والقومية بتغافل عن عمل هذه الحركات التي أعطت للشباب البديل الآخر، وظلت القوى الكبرى تتصارع فيما بينها لسقوط أول محيط وزعزعته من مكانته فهل يا ترى أهو المحيط الشرقي أم المحيط الغربي ؟.

أما الدول العربية والإسلامية فقد سقطت حكومات وتغيرت أنظمة بالانقلابات والحكم الأحادي لتلبية الرغبات وفي غفلة منها ظهر هذا البديل في دولة ما (هي إيران)، وفشلت هذه الحركات في مصر وسوريا والباكستان.....و غيرها من الدول الأخرى، وهذا ما زاد الجماعات الإسلامية إصرارا ومضيا في زعزعة الأنظمة عسى أن يحققوا ما حققته هذه البلاد الإسلامية ومن ثمة ظهر المشكل الأفغاني الروسي هذا الأخير الذي فتح بوابة لكسر ذلك المحيط وصاحت أصوات ونفخت أبواق وتغنوا "بجنة المأوى وأن الشهادة ولادة أخرى في الجنة" (يقصدون بها الفردوس).

و من هذه الثغرة اغتنم المحيط الغربي الفرصة وسخر جميع الوسائل من دعم وأسلحة وتدريبات.....الخ لتحقيق مآربه ولكنه نسي بأنه ربى أشبال اللبؤة وصغار العقارب بالتعاون مع الدول العربية والإسلامية التي نادى بها شيوخ وعلماء كبار بفتاواهم واجتهادا تهم وأوحوا بالمعجزات والكرامات التي حدثت في ذلك البلد في عهد الذرة والإلكترون، وتكنولوجيا الأرض والفضاء.

وبعد سقوط المحيط الشرقي بدأت الدول التي كانت تحت ظله بالدخول إلى الديمقراطية، التي هي أساس التمتع بحقوق الإنسان الذي لا يمكن أن تكون له الحقوق الكاملة، إلا في ظل مناخ ديمقراطي ولكن لا تكتمل أبدا إذا أصابها خلل وبكل بساطة فهمها الشعب الغربي بمفهومها الحقيقي.

للأسف في بلادي استوردوا لها الديمقراطية بلا معنى ولا وعي، وبدون أخلاقيات ودون فهم للحريات فوضعوها كسلاح استخدمه البعض بالباطل وبذريعة تبرز التجاوزات والخروج عن الدين وأصول المجتمع **فولدت هذه الديمقراطية بشنب كبير**، فأرادوا أن يقصروه لها، فاستحلوها لأنفسهم وحرموها على غيرهم.

فعمت الفوضى والمشاكل وأدركنا أن الديمقراطية لا تحيا مع الجهل، ولا مع الفوضى، ولا مع التخلف، ولا تحت الضغوط، ولا من خلال الثورات الدموية، ولا بالعنف ولا بأعمال التخريب والإرهاب.

أدركنا أن حقيقة الديمقراطية والحرية والعدل، ما هي إلا مجموعة من مبادئ اجتماعية وثقافية.

وسياسية واقتصادية، ودينية ومناهج متعددة، تتمحور في مجموعة تسمو إلى الكرامة الإنسانية.

من ثمة اصطدمنا بالواقع وبالقضاء، الذي لا مفر منه وفاتنا الأوان، ولم ندرك حقيقة الدنيا التي أصبحت مرة من جراء هذا، ولكن أصبحت هذه القضية قضية عالمية إرهابية، وصرنا نواجه أخطر مشكلة، وتربت الشعوب على الخوف والذعر، على الرعب والعنف، وهذا ما أنتج أمراض مزمنة وهستيريا نفسية لأمتنا، وبذلك واجهنا ظاهرة تهدد المجتمع الدولي في مجموعه.

وكانت مصر أول فئة استهدفت فيها من العمليات الإرهابية، التجمعات العلمية بما فيها من كتاب ومفكرين وعلماء وشيوخ وأدباء.....الخ، لإحداث الرعب والفزع، لإسقاط جميع المحاولات التي كان العلماء يقومون بها لحفظ العالم العربي والإسلامي واستقراره من الأعمال الإجرامية، فإن هناك تشابه بين ما أقدمت عليه الجماعة الإسلامية في مصر وفي سوريا وبين مواجهة التيار المسلح للسلطة وتجربة التنظيمات الشيعية في عهد الشاه في إيران كانت تجربة دامية وعن ما أقدمت عليه في الجزائر بالانتقال إلى العنف ضد الآمنين بعد ذلك التي فقدت آلاف من أرواح الأبرياء بألوان عديدة ولا ننسى الهجمات أيضا على لبنان والأردن والسعودية والكويت.....الخ من البلدان العربية والإسلامية

لكن هذه الإحصائيات ما هي إلا مساهمة في الوقوف على مدى خطورة وتطور هذه الظاهرة التي أصبح العنف والإرهاب لا يعرفان حدودا في إصابة الدول المختلفة المواقع الجغرافية.

فانتشرت ثقافة الانشقاقات مما أدى إلى نشوء مفاهيم اليمين واليسار في الإسلام والأصولية الدينية التي لم نفهم مقوماتهم في ذلك حتى الآن.

فالنظام الغربي حاول طمس الحقيقة التي تتبلور في مظاهر استغباء العقول وتحريف الحقائق ومد الفساد والأمر بالمنكر وسحب الغطاء الكامل على نياته ورغبته الحقيقية لرفع وتيرة القمع والإبادة وآلياتها بطريقة أخرى للعرب والمسلمين بأن يذبحوا أنفسهم بأنفسهم وهذه الحالة مع كل ما تعنيه من مظاهر البشاعة فإننا لا بد من ملاحظة أن المستهدف يبتعد عن إدراك قمعه الجسدي والنفسي والتضييق عليه دون أن يدرك ما يحصل له بينما يبقى باحثا ومتسلقا لأضواء الديمقراطية التي تسيرها الأيدي الخفية وبعض المدنسين لها، و بذلك ازدادت شراسة الخلاف بين العرب، ورموا التهم كلها على العرب والمسلمين وجعلونا بذلك منظمين إرهابيين وهذا ما أوصلنا إلى الحالة السيئة من الضعف والانهيار وباتت آثارها على الحالة العامة للديمقراطية التي ندعيها والتي يدنسونها لنا مع أساليب (الاستحمار والاستغباء) والضعف الذي أعادنا إلى الصفر وللأسف نحن من اكتشفناه في الأرقام الحسابية. على قول المثل:"العرب هم من اكتشفوا رقم الصفر لكنهم حشروا أنفسهم فيه".

وبقينا متجاهلين هذه الهجمة المدروسة والمبرمجة التي ستمضي بنا بدوران عجلة الزمن إلى التأخر بآلاف السنين ونقبل حالات الغبن والظلم الذي نحن فيها من المقاساة والمعاناة الموجهة إلى صدر كل عربي وكل مسلم وتحمل أشواك الإرهاب النامية في حلق الأبرياء وأن نقبل التعامل بعملته:

على الوجه الأول **عرب إرهابيون**، وعلى الوجه الثاني **مسلمون قاتلون**.

و إذا ما أمعنا النظر الجيد إلى الدول الأوروبية والغربية التي بالرغم من أن لكل دولة لغة تميزها عن الأخرى إلا أنهم متحدون في محيط واحد يجمعهم على المصلحة ولو كان على هضم الشعوب.

و العرب والمسلمون بالرغم أن ما جمعهم لغة القرآن الكريم إلا أنهم متفرقون.

فهي فرصتنا الأخيرة للوحدة في هذه الأزمة العربية والإسلامية قبل أن تظهر طحالب النظام الآخر وتطغى على الساحة العربية بكل أشكالها الجديدة لخلق مصائد جديدة لنا تحت شعار الإسلام يولد العنف أو بالمصطلح الغربي **الإسلام يعني الإرهاب** فقد ذكر نيكسون في كتابه "**أمريكا والفرصة التاريخية** "أن الإسلام أيديولوجية المنافسة المقبلة. وقال فوركوياما في كتابه نهاية التاريخ نفس الكلام، وأيضا هنتجتون في كتابه صراع الحضارات كلام بنفس المعنى.

فأقول بهذا "لماذا دائما الغرب متكتلون والعرب متفرقون...؟؟؟؟".

بقلم فرح مناني

(الأحداث الأولى لنشأة التطرف الإرهابي في الجزائر)

كان أوائل عام ١٩٨٨ م نقطة لانهيار المحيط الشرقي فبقي الوعي العربي بعيدا عن الحقيقة الديمقراطية فدخلت البلدان العربية في هذه التجربة المريرة عكس ما وصلت إليه الدول الشرقية (مثل رومانيا وبولغاريا.....الخ)، التي كشفت مواطن الضعف والتخلف في الوجدان العربي والإسلامي فقد عبرت عن مغامرة الشعوب في شتى الأزمنة والأمكنة.

و كانت تجربة الجزائريين خير دليل بعد مجازفته بمليون ونصف المليون من الشهداء، بل وأكثر في ثورة تحريرية كبرى ثورة أول نوفمبر المجيدة لعام ١٩٥٤م التي انتهت وأثمرت بنتيجة الاستقلال في عام ١٩٦٢م بمعركة طويلة وتضحيات بطولية عظيمة، وبهذا تراجعت مؤشرات الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي لحالة الجزائريين.

و بخروج الرئيس الأسبق الشاذلي بن جديد بخطابه الذي أثر في نفوس الشعب والشباب، كان قد تحث فيه عن مأساة الشعوب والحالة المعيشية لها، مشيرا إلى دولة من جيراننا عن رفع الأسعار في ثمن الخبز واللحم وكيف احتج مواطنوها بأسلوب حضاري ومهذب والذي في الأخير تقبل منهم بعدم الزيادة في الأسعار.

و كان خطاب الرئيس الأسبق ما هو إلا تعبير عفوي وتلقائي عن هذا الشعب، فلم يرد بذلك إثارة الشباب والشعب الجزائري بل كان بغفلة منه، جاهلا ما قد سيحصل آنذاك.

بأيام قليلة انتهزت الفرصة الأيدي الخفية ودفعت وحرضت بالفوضى فخرج الشباب الجزائري إلى الشوارع للاحتجاج دون هدف معين ودون مطالب محددة يطالبون بها، بل كان احتجاجهم بالعنف وتحطيم الممتلكات العمومية والخاصة وبحرقها وإتلافها، فواجهتهم بذلك قوات الشرطة لتوقيف أعمال الشغب والحد منها، لكنهم فشلوا في ذلك، مما دفع بالرئيس السابق للأمر بإطلاق النار على كل معتد وذلك بتعاون من قوات الجيش الوطني لحفظ البلاد والوطن، مما أسفر عن ضحايا من الطرفين في الساحة الجزائرية، التي تأسف عنها الرئيس الأسبق شاذلي بن جديد في خطاب جديد خرج به إلى الشعب الجزائري باكيا، عن سقوط الضحايا من الشباب وقوات الأمن والجيش الوطني، وقد وعدهم بتعديل الدستور الذي يمكنهم بالتعددية الحزبية، فقبل بالاستفتاء وصوت عليه بالأغلبية الساحقة.

و بهذا برزت الأحزاب المستترة التي كانت تعمل في الخفاء والحركات الشيوعية والاشتراكية وأيضا الحركات الإسلامية والحركات المعارضة للنظام.

و كان بروز الحزب الإسلامي الذي يدعى:(FIS) الذي كانت ولادته جد عسيرة لضمه عدة تيارات منها المعتدلة والمتعصبة (حركة الجزأرة، وجماعات الهجرة والتكفير، والمتعاطفة مع الشيعة في الخفاء.....وغيرها.

وقبل نشأة هذا الحزب، كانت قد نشأت الرابطة الإسلامية التي ضمت علماء جزائريين ومفكرين إسلاميين معتدلين ومنهم من تتلمذ على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس في جمعية العلماء المسلمين في عهد الاستعمار، الذين نصحوا الحركات الإسلامية بالابتعاد عن العمل السياسي الذي سيؤدي إلى مشاكل عويصة لا خروج منها تزيد الأمور تأزما.

وكان قادة الحزب (الجبهة الإسلامية للإنقاذ) يعلمون بذلك، وقد تكلموا عنه في عديد من المرات وقد جاء على لسانهم الحديث عن باكستان وجماعات الإخوان في مصر وعن سوريا.....الخ، الذين فشلوا في المعترك السياسي.

فكانوا يدركون ويعلمون علم اليقين بهذا وبالرغم من ذلك دخلوا المعترك السياسي بذريعة الوسيلة لتطبيق الشرع، وببروزه هذا عرف كيفية احتضان فئات الشباب الجزائري بخطاب العاطفة والدين المتحمس وبشدة التصدي للسلطة الذي سئم الحزب الواحد:(حزب جبهة التحرير الوطني).

فقدم مفتاح الفوز في الانتخابات البلدية والولائية بالأغلبية الساحقة للحزب فكانت معظم الأصوات لصالحه، ولكن العمل الميداني كشف له عن حرمانه في بعض الصلاحيات تقييدا لحرياته، فخرجوا إلى الساحات أنصار الحزب للاحتجاج بالمسيرات واستعراض العضلات منها أضخم مسيرة في رمضان

ومن هنا بدأت التضاربات والعنف السياسي حتى فوجئنا **بغزو العراق للكويت**، وهذه القضية جوهرية وأساسية في أحداثنا والأحداث العالمية التي جرت فهي مرتبطة ببعضها البعض.

و بتفاهة رجل واحد وغبائه **(صدام حسين)** وبحكمه الفردي والقمعي الذي كان يسيطر به على البلاد، استغلت الولايات المتحدة ذات القطب الأحادي القوي الفرصة القائمة بغزو **العراق للكويت**، الذي دعمه وسانده بكل الوسائل لنيل مبتغاه وبه تغير النظام الدولي الجديد مما زاد نكسة إلى نكساتنا القديمة إلى الدول العربية والإسلامية

فأسميت هذه اللعبة **بلعبة الشطرنج** التي لعب فيها **الأرنب مع الأسد** وتوهم أنه **فيل** ومنه نفذ المخطط الذي رسمه **كيسنجر في كتابه** ولبى **صدام** ما أرادوه بالمجان وبالتفاهة.

فانقسم العلماء إلى فئتين فئة معارضة وفئة مؤيدة **لصدام** بفتاواهم، هذا ما كشف ضعف وعدم قدرة المسلمين في حزم الأمور وتفرقهم في شتى الأحوال ونسوا قوله تعالى عز وجل: "**وإن فئتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، وإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله** "صدق الله العظيم.

وبقضية **العراق والكويت** انصرفت جماعة الحزب الإسلامي بمحاولات لإخماد نار الفتنة بينهما، وقرروا النزول إلى البلدان التالية: **(الأردن والسعودية والعراق وإيران)** وهناك

التقوا **بالشيخ: نصر الدين الألباني** في الأردن وحدثوه عن الجزائر ومشاكل التخبط السياسي، فتساءل الشيخ بفتوى شرعية لإنشائهم الحزب الإسلامي ، ولكن دون إقناعه بذلك، فحثهم بالخروج عن المعترك السياسي، والتنازل عن البلديات والولائيات التي فازوا بها في الانتخابات، وأن هناك أساليب عدة دون هذا المسلك، الذي لا محال سيؤدي بمشاكل للبلاد والعباد، ودلهم باتباع مناهج أخرى لتربية الناس بإنشاء جمعيات خيرية والنهي عن المنكر والأمر بالمعروف وعدم الخروج عن الحاكم لكي لا يكونوا في زمرة الخوارج العصريين ولو كان الحاكم فاسق ولا يستبدل منكر قائم بظلم باطل .....الخ.

ووعدوه بذلك لكن بعد عودتهم إلى الجزائر، لم يوفوا بعهدهم، فوقع المحظور **بحرب الخليج الأولى** فجلب **صدام** المصائب والويلات لشعبه وللعالم العربي والإسلامي، وصدقت مقولة:"أكلت يوم أكل الثور الأبيض" وهنا كان منعرج آخر للحزب الإسلامي فكانت من بين المؤيدين له الدول العربية والإسلامية بما فيها **السعودية والكويت**، .....الخ، فكان في بادئ والأمر متخوفا من مناصريه للوقوف معهم، فغير اتجاهه السياسي نحو **العراق** الذي كان قد فرض عليه من قبل المنخرطين في الحزب ومن الشعب المتعاطف له، وهنا فوت الفرصة عليه وكانت حظوظه أكبر للوصول إلى السلطة لو انحاز إلى **الكويت والسعودية**.

واقترح فتح مراكز التدريب ومدهم بالسلاح للجهاد في **العراق** فقبلوا بالرفض من قبل السلطة التي حظرت ذلك مما دعي إليها بمسيرات احتجاجية ضخمة.

و بعد الخلط السياسي له والتضاربات بانت نيته لمحاولة الوصول إلى الحكم بأي شكل من الأشكال فدعي إليها بالاعتصامات في الشوارع والإضراب في الساحات العمومية ليل نهار، وشلت الحركة الاقتصادية.....إلى مدة ما يقارب **٢٩ يوما** لمطالبتهم بانتخابات رئاسية مسبقة قبل التشريعية بالرغم من أن الرئيس الأسبق كان قد أطلق العنان إلى أبعد الحدود لممارستهم السياسية ولكنهم نسوا حقوقهم.

فكان الخيار أصعبه وأحلاه مر في كلتا الحالتين، ولنعلم أنهم إذا وصلوا إلى السلطة، سيورطون البلاد في حصار خارجي على الشعب الجزائري، من الجهة السياسية والاقتصادية....**مثل إيران**، ونصبح في عزلة دولية ولن يقبل الغرب بأن يصل الحزب الإسلامي إلى الحكم.

ووقع الاصطدام من جديد بين أنصار الحزب والسلطة وسقطت ضحايا من الطرفين وبأيام قليلة أوتي بالثلاثي المرح على زعم قادتهم **(مراني، سحنوني، الفقيه)** بأن برزوا للتحدث في الإذاعة الجزائرية لبيان النية الحقيقية لرئيس الحزب ونائبه في الوصول إلى السلطة بأعمال مخالفة وبذلك قدموا استقالتهم من الحزب واعتزالهم للسياسة ودعوا إلى تهدئة

الأوضاع وأنهم ما أرادوا إلا الخير للبلاد ومن ثمة اعتقل رئيس الحزب ونائبه فناب مكانهم **عبد القادر حشاني** الشاب المهندس في البتروكيميائية المعتدل.

وبعد ذلك قرر إتمام المسار الانتخابي للتشريعات من طرف السلطة بالرغم من تواجد رئيس الحزب الإسلامي ونائبه في السجن، ونسوا وعدهم للشيخ الألباني ودخلوا في اللعبة السياسية في آخر اللحظات من إيداع الملفات الانتخابية.

ومرة أخرى فازوا بالأغلبية الساحقة في الجولة الأولى، فأحست السلطة بالخطر المحدق، فوقفت المسار الانتخابي للجولة الثانية فقبلت بالمسيرات الشعبية. للأنصار والمؤيدين ومناضلي الحزب.

من هنا قدم الرئيس الأسبق الشاذلي بن جديد استقالته المجبرة التي لم تكن أبدا بمحض إرادته، فهي أشبه بالانقلاب الأبيض (غير المباشر)، وأقنعوه بأنه إن لم يستقل عن الرئاسة فإنه سيؤدي بحرب أهلية.

مما أدى ذلك إلى فراغ دستوري وهذا ما جعل الجزائر تقع في كمين نصبته الأيدي الخفية الخارجية والداخلية بغية تضليل الواقع وطمس الحقيقة ودفن مستقبل الشباب وإيقاف النمو والتطور للبلاد والسعي وراء إفشال كل المحاولات من الأئمة والعلماء وأصحاب الفكر للحيلولة دون الصلاح للبلاد بل استمرارها في الصراعات والهجمات والتمرد ومضاعفة معدلات الفساد فيها.

ولم تكن في نية الجزائريين أن يؤول الوطن إلى كل هذا لا من جهة السلطة ولا من جهة الأحزاب ولا من جهة الشعب، ففلتت الأمور من الزمام وتمت الاعتقالات للمناصرين لهذا الحزب إلى سجون الصحراء الكبرى للبلاد.

وشكل المجلس الأعلى للدولة المتكون من خمسة أعضاء **(خالد نزار وعلي هاروني ورضا مالك، وهدام ومحمد بوضياف)** هذا الأخير الذي يعد رجل تاريخي قدموا به من المغرب لسد الفراغ وقد مركز في السلطة كرئيس للمجلس الأعلى للدولة.

وبعدها فرض حظر التجوال في الشوارع وأعلنت حالات الطوارئ وفي هذه الآونة تم اغتيال المفكرين والعلماء والدعاة وأئمة الساجد والصحافيين وكل من حاول إخماد هذه الفتنة لقي حتفه من طرف المجهول، و بذلك أخذت حركات التطرف في خفوت وخفية بأعمالهم الإجرامية مستهدفين بعد ذلك قوات الأمن الوطني بأنواعه وبالمواطنين وهم يظنون أنهم يحسنون صنعا.

وتم حل الحزب الإسلامي دون وعي سياسي مسبق ومدروس وكما يقولون:"ليس دخول الحمام كخروجه" وعصفت الأزمة بالجزائر ولم تعترف الدول بهذا وبقيت البلاد في عزلة تامة حتى من جيرانها وهي تضمد جراحها وتبكي أحزانها كل يوم وفقدت بذلك مكانتها

بين الدول مما اجبرها على تحمل المآسي دون الفهم الحقيقي للواقع الجزائري وضرب عليها بالحصار المستتر وتضخيم الإعلام من الغرب والشرق وجعلوا من الحبة قبة ومن النملة فيل ومن القتيل أمة، وكم تضاحكوا علينا ونحن نحتسي دموعنا وتمنوا لو يطول عذابنا حتى انقلبت الموازين وأدركوا في الأخير بعد فوات الأوان بهذه الأزمة لما انتقلت إليهم.

وهذه الأزمة الجزائرية ما هي إلا الجزء الظاهر من البناء الفاسد المفتقر لجوانب عديدة للديمقراطية التي تعني الكثير فانحطاط الوعي والقيم والتخلف والجهل يؤدي حتما إلى نتائج جسيمة وخطيرة على الدولة والمجتمع الجزائري خاصة، وبالعربي والإسلامي عامة.

فقد انطوت هذه الأحزاب على قصور واضح، لأنها كانت عاجزة عن إدراك الوسائل الشرعية للفعل السياسي، والمسار الديمقراطي السليم، تتمركز في زرع الديمقراطية كأسلوب للحكم، وإدارة المجتمع فتوصلت المعارضة الإسلامية بأسلوب الديمقراطية، للوصول إلى الحكم واستمر الوضع على حاله وسادت الفوضى في البلاد وبث الرعب في نفسية الآمنين، جراء العمليات الإجرامية الإرهابية، كان السبب الرئيسي وراء النزاعات المسلحة، ما هو إلا جراء الديمقراطية والسلطة وتولي كرسي الأمة.

وهذا لم يمنع من وجود مخطط مسبق لكل هذا، وكان بذلك الحزب كغطاء لكل هذه الأعمال.

و لكننا لم نفهم حتى الآن عدم محاولة رئيس الحزب الإسلامي ولو بكلمة واحدة لتوقيف أعمال العنف.

تساؤلات وتساؤلات دون أجوبة لها، هذا لا محالة أدى إلى الكارثة وتدمير عدة المجتمع الواحد مما خلف بنية مجتمع سياسي واجتماعي متخلفة الذي دخل في دوامة الجهل والتخلف وعطالة الفكر والعقل الجزائري العربي والإسلامي الذي يستطيع أن يدرك ما يعجز عن تطبيقه والذي دخل في متاهات بهفوة صغيرة.

انطلاقا من كل هذا تكون ما يعر ف **بالإرهاب** فتمركزت الجماعات في مواقع خاصة بهم وزودوا بأسلحة من الداخل والخارج وانضمت إليها فرق من جماعات المتمردين والمتطرفين السابقين والعصابات وشكلت قوة تواجه السلطة والشعب معا مستهدفة الأبرياء، فيتمت شردت أطفال، ورملت نساء وفقد رجال واختطفت فتيات..... وكل هذا أبناء الوطن الواحد في اللغة والدين والعقيدة.

فعاشت الجزائر في أسوء عشرية عرفت بالعشرية السوداء التي دامت أكثر من عشر سنوات وبعدها امتدت إلى غيرها من البلدان العربية الأخرى.

بقلم فرح منانـي

عندما يسود الغموض والظلام الدامس ويكون التفاهم صعبا للغاية وحين تملأ الغيوم السوداء السماء فيبدو أن الخلاف استحكم بين أفراد الدولة الواحدة فيختلفون في المسار والأفكار في العادات والتقاليد، والصداقة والقرابة.... وفي تفريق الحق عن الباطل، يختلفون حول الدين والإسلام، عن بيان الخير والشر عن بيان الحلال من الحرام، وخلط هذا بذاك..فصعب تلاقي أفراد هذا المجتمع ببعضه البعض.. من هنا تبدأ خيوط الجذب، ولعل هذا الخلاف هو الدافع والمحرك لخلق الهمجية والعدوان في البداية.....، فتتحول خيوط الجذب تلك مع الأيام إلى وضع أشبه ما يكون بالمد والجزر التي تنمو يوما بعد يوم وتتحول من العيش في سعادة إلى العيش في تعاسة، وتتأزم الأمور إلى حد القتل والإبادة.....، إلى حد الاستبداد والقهر .....، إلى حد الخيانة والغدر.....، إلى حدود لا تتصورها لا الأذهان ولا العقول..إلى حدود لا يتقبلها المنطق.....و تشمئز منها النفوس لبشاعتها.....و تهرب منها من مكان إلى آخر.....

سببها بسيط جدا هو أن القلوب ليست صافية ولا تعرف طريقها الصحيح من الخطأ والرجوع إلى الصواب مستحيل وتصحيح الخطأ ليس له مسار إلى الحق.

فأين الحق.....؟؟؟؟

وأين العدل.....؟؟؟؟

أين الصواب من الخطأ.....؟؟؟؟؟؟؟

أين العرب من كل هذا.....؟؟؟؟؟؟؟

أين المسلمون..... ؟؟؟؟؟؟

أين العلماء وأئمة الدين..... ؟؟؟؟؟؟

أين الدين والإسلام من كل هذا ؟

و من يقتل من...؟؟؟؟؟؟؟

أسئلة تسأل دون جواب لها..؟؟؟؟؟؟؟؟

و من هنا تنطلق المعاناة بين واجهتين الإسلام والإرهاب.

قال الله تعالى::﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً** ﴾ صدق الله العظيم.

قال رسول اله صلى الله عليه وسلم: "إن الله لم ليجمع أمة محمد على ضلالة، فإذا رأيتم الاختلاف فعليكم بالسواد الأعظم".

بقلم فرح منانـي

مثلث الموت الخطير

القرية الجزائرية "لؤلؤة "تميزت بجمال طبيعي خلاب، بتموجات الاخضرار في السهول، بكثرة أشجار الخوخ والتفاح، بأشجار الرمان والجوز، مشمش وعنب، صفصاف وزيتون.....الخ.

في ظل هذه الأشجار التي كست اللؤلؤة بأبهى حلة، زينتها من جهة أخرى الزهور والورود، التي تعانقت لبعضها البعض وتراقصت متباهية، كأنها عرائس بأثواب مختلفة الألوان، أقحوان وبنفسج، نرجس وياسمين.....و ريحان.

أصغوا إلى المياه الجارية بهدوء من المنحدرات والجداول، و اسمعوا خرير النهر الممتزج بحفيف أوراق الأشجار، بأنغام الطيور والعصافير، التي ملأت الجو بألحان السعادة والفرح، كأنهم أفراد موسيقيون ينفخون على مختلف الآلات والأبواق، لو تأملت كل هذا لاعتقدت أن الطبيعة تقيم احتفالا.

أما الجبال فيها فلقد افترشت بالأعشاب، ملتحفة بالحرير الأخضر الناعم، ترى من بعيد شعاع ذهبي ساطع خلفها، شعاع، شعاع شمس تقع من أطرافها خيوط اللؤلؤ والمرجان....و حين تميل نحو الغروب، هذه البرية البعيدة ازدادت روعة في ستار الليل وبقربه نور القمر الفضي الساطع.

هذه التأملات أخذت نظري إلى البعيد، عبر نسيم الهوى بعيدا عن البنايات الشاهقة.....، عن ضجيج المدينة....، من دخان المصانع.....، من الفوضى السائدة هناك....، إلى الهدوء و السكينة.....، إلى الريف الذي كان أشبه بموكب احتفال، جمع بين ما يوجد في الطبيعة كلها.... لتبتسم لها الإنسانية.....

لم أكن أعلم لماذا تبخر هذا كله.....؟؟ ليحيط بالقرية موسيقى محزنة....، أشواك دامية.....، ليملأ الجو فيها برفات الموتى....، ببكاء وألم...بصراخ وعويل....، بذرف دموع ساخنة.....، لتتفرق الأحلام فيها...، لأيام تخلع السعادة وتلبسها ثوب التعاسة.....

أصبحت قرية الأموات....من فرحة الحياة.....، تفارقها السعادة مع ظلمة الحيرة.....، بريح تهب منها عاصفة.....، تضع بها خيال الموت الذي يفرق المحبين.....، يرمل النساء...يشرد الأطفال.....

هدم الموت كل شيء.....و أخفي أعز الأحباب....، أتزول تلك القرية لسعيدة.....؟؟؟، لتنقلب إلى قرية الموت المخيف.....، إلى قرية الحزن الكئيب.....، إلى دموع يقطرها الحزن.....، تسمع بها أرواح تناجي..... بأناشيد أبدعتها وحشة المكان....، بصراخ.بعويل.....، اهتزت له القلوب ليهب الله الفتاة الصغيرة....حياة جديدة.....ونعمة

صبر قوية..... لتكفكف الدموع....و تتحمل عذاب أكبر.....لتقطع مراحل أخرى من العمر....، بحزن لا يجف....هذه الإنسانة الشفافة....تتحول إلى جرح عميق.....لفتاة حزينة...تتقاطر جراحها دماء....، أصبحت في مذلة بعد معزة.....، قيدت بسلاسل الموت.....، و أهملت في مستقبل مجهول.....إنه بطش الوحوش.....، قدوم أشباح الظلمة بها...، المجرمون في الزمن التعس.....، المجرمون.....القتلة.....، الإرهابيون..... مصدر الشر وتمر بها الليالي.....هكذا من عذاب الدهر.....، وقضاء القدر.....، أهذه الحياة ؟.....ماض تعس....ومستقبل مؤلم..... من هنا..... سمعت هذه القصة.....من قلب جريح..... من هنا الفتاة التي نقش اسمها.....، و أمدها الله حياة جديدة.....كتبت بأحرف من دم.

كانت القرية لا تبعد عن المدينة سوى ٦٠ كيلومترا، وتحتوي على أربع مناطق (المنطقة ١ والمنطقة ٢ والمنطقة ٣ والمنطقة ٤)، التي كانت كل واحدة منها تبعد عن الأخرى (بحوالي ٨- ٢٠ كيلومتر بالتقريب).

تميزت بصعوبة موقعها الجغرافي الواقعة في منطقة جبلية وعرة التي عرفت في تلك الآونة بمثلث الموت الخطير.

عائلة مخلوف التي تنحدر من أسرة كريمة وعريقة في وطني، تعد من أكبر العائلات غنا وأصلا وشرفا ودينا وقيما، و تعتبر من العائلات الثورية التي كافحت الاستعمار الفرنسي.

فرشيد صاحب الشركة الهندسة في العاصمة، وخريج الجامعة الأميركية، فضل الحياة الريفية على حياة المدينة بالرغم من غناه، فشيد منزلا هناك ليستقر مع عائلته وأبويه، و ليهتم بزراعة أراضي أبيه الواسعة التي طالما أحبها وحرص عليها، فكان يعتبر الأرض أغلى كنز في الوجود.

رشيد الذي تميز بصرامته وشدته في جميع الأمور، هذا لم يمنعه من أن رصد أعماله للخير والبر والفقراء، وإغاثة شديدي الحاجة، ورتب ميزانية لذلك خصيصا.

أما الأم لبنى فما كانت سوى الأم الحنون، الأنيقة المظهر والبديعة الجمال والخلق الطيب، فهي امرأة عاشت حياة تعسة قبل زواجها برشيد، وقبل إنقاذه لها من مأساة فقرها وفقر والديها.

رشيد ولبنى رزقهما الله تعالى بأبناء متميزون بطيبة قلوبهم، التي كسبوها من والديهم (عفاف، رامي، حسام المدلل، وعياش والصغرى مرح المحبوبة).

أما الجدين مسعود وعلجية عندما ركبتهما الشيخوخة واستحال عليهما العيش وحدهما، أقاما مع ابنهما رشيد وعائلته، التي استقبلتهما بكل فرح وسعادة.

مرح الصغيرة امتازت بشدة ذكائها وقوة ذاكرتها وملاحظتها، وبقدرتها العالية في الدراسة والتفوق فيها، وكانت من حفظة القرآن الكريم لما تمتاز به القرى الجزائرية بتحفيظه في الكتاتيب والزوايا الكثيرة، فكانت محطة اهتمام الجميع من العائلة، إلى المدرسين وأصدقائها في الدراسة، إلى أفراد المنطقة القاطنون هناك فأصبحت محبوبة لديهم جميعا.

كل هذه السعادة وسط العائلة تبعثرت بعد ذلك، حين اندلعت نار الفتنة في الجزائر، في وآخر عام ١٩٩٢ من جراء التضاربات السياسية، التي شهدتها البلاد في تلك الآونة، من الأحزاب فيما بينها ومن معارضين للنظام إلى أنصار للأحزاب ومعارضين لهم.. وأعلنت بذلك حالة الطوارئ في التراب الوطني بأكمله.

المجزرة الأولى (في المنطقة ٣ من القرية)

التصادمات الأولى بين أفراد الأمن وبعض من المتطرفين من الجماعات

كان أمس الأحد من عام ١٩٩٣ يوما هادئا في المنطقة الأولى، الذي أمضته مرح وزملائها في قاعات الدراسة، في درس التربية الإسلامية حول الصدق والوفاء والبر، إذ فجأة يسمع على مقربة من المدرسة أصوات طلقات الرصاص المخيفة وصراخ الناس من المارة هناك.

فأمر أستاذ الصف الابتدائي تلاميذه، بالانبطاح تحت الطاولات حتى لا تصيبهم طلقات الرصاص، لأن القسم كان يطل على الشارع، أما مدير المدرسة فقد أمر جميع الأساتذة بجلب تلامذتهم إلى آخر الساحة، في جهة معزولة خلف الأشجار حيث الأمان أكثر.

فما إن هم الحارس بغلق بوابة المدرسة، حتى أصيب برصاصة في كتفه التي طرحته أرضا، و غمرته بدماء وآلام مما استدعى إغمائه.

وخلال تلك الفوضى لم يدرك المدير والأساتذة ما يفعلون؟، أيحمون التلاميذ؟ أم يسعفون الحارس المسكين؟.

وبعض الأساتذة أخذوا يسعفون الحارس الطريح في الأرض، أما التلاميذ الصغار فإنهم كانوا في موقع واحد ضمهم بخوف ورعب، فبقوا في أماكنهم قرابة ساعة لا يبرحونه.

الحارس المصاب نزف كثيرا، و لم يتمكن أحد بالمجازفة لنقله إلى مستوصف القرية، خلال تلك المشادات بين الحرس والجماعات المطاردة، فتوفي متأثرا بجراحه.

رؤية هذا المشهد جعلت الأطفال يبكون ويرتبكون...، حتى إن معظمهم من شدة الخوف تبول من جراء ذلك.

و ما إن هدأت الأوضاع نقل الحارس إلى المستوصف، وهرع الأولياء لجلب أبنائهم من المدرسة، وقد استلمت كل العائلات أولادها، ولم يبق في المدرسة سوى مرح الصغيرة وعصام زميلها، اللذان لم تأت عائلتهما فظلوا رفقة مدير المدرسة إلى حين وصولهم.

و ما إن قدمت عائلة مرح حتى قرر رشيد إيصال الولد بنفسه إلى بيته، مع المدير الذي أصر مرافقتهم للاطمئنان على الولد، باعتباره المسئول الأول والأخير عن تلاميذ مدرسته، وعند وصولهم إلى عين المكان، لوحظ انتشار أفراد الدرك الوطني وسيارتين للإسعاف، والحماية المدنية الذين كانوا ينتشلون الضحايا، في المنطقة الثالثة من القرية.

و ما إن اقترب عصام من الحي، حتى أخذت العائلات التي نجت من الحادثة، بالنظر إلى الولد بعين ملؤها الحزن والأسى، مملوءة عيونهم بدموع الشفقة.

اقترب الولد من جثة أمه الهامدة التي لا حراك فيها...، ومد يده يرفع الغبار عن وجه أخيه الصغير، أخويه، تارة إلى أمه وتارة إلى أخويه، و تارة أخرى إلى أخيه الأكبر خالد.

عصام الذي كان يعيش مع عائلته بسعادة البساطة، وفرحة اللقاء كل مساء من قسم المدرسة، حول موقد الحطب البسيط.....

أتى الوحوش فدمروا فرحته... قتلوا أمه وأخويه الصغيرين... وقتلوا أخاه خالدا، ثم أخذوا أباه بعيدا عبر مسافات لا يعرف أثره، والآن يلتفت حوله فلا يرى ما يمكن أن ينسيه المأساة...، فماذا بقي له في الدنيا...؟! الجبناء وهم يرتكبون هذه الجريمة في حق الإنسانية، كانوا يركزون على أن يكون لها الصدى المطلوب، وقد كانوا يتوفرون على كل الشروط التي تجعلهم يذبحون الأطفال ثم ينسحبون فارين.

وقد أوقع الجناة عدة ضحايا مدنيين، بتصويب أسلحتهم على المارة من الناس والرعاة المتواجدين بالمنطقة.

كانت الشمس تبدو من خلال السحب وتختفي...، تبدو قليلا وتختفي كثيرا...، وكان صوت الريح يزيد من وحشة المكان...، وكان عصام لا يزال واقفا بأسماله البالية أمام جثثهم، وأخذ بالصراخ والبكاء عليهم فضمه رشيد إلى حضنه، وأجهش هو الآخر ومعه المدير، ومن حولهم من السكان بالبكاء.

وصاح رشيد: "الوحوش...الوحوش...الوحوش....." وشدت الأنظار إليه، وأخذ يتحسر لهذه الفاجعة، وكانت نظراته وصرخاته، مع الأهالي الذين قتلت أهاليهم، ما هي إلا تعبير عن ما ذنب هؤلاء؟

لقد جرّدوا الصغير من صاحبة أدفأ قلب، وأحنّ نظرة..... من أمه، ظلما... من أبيه الذي طالما تعب لأجل تعليمه، من أخويه الصغيرين رمزي وحسان..... اللذين كان صراخهما ولعبهما يدوي المنطقة، ومن أخيه خالد الذي كان طيب القلب يساعد أباه في مصاريف البيت من راتب عمله لعدم قدرته على تسديد كل المتطلبات.

عصام كان أول فتى في العائلة يستمر في الدارسة، متفوقا تفوقا كبيرا بعزمه أن يكون في المستقبل إطار، و شعلة من شعلات بلادي، من أطباء ومهندسين ومحامين وقضاة، وأساتذة وطيارين و جراحين، .. الخ

ليعيد البسمة إلى أبيه وعائلته، التي شقت من أجل أن تراه كذلك، ليخرجهم من بؤس الشقاء والفقر.

مارس الوحوش عمليتهم ثم انقلبوا ضاحكين، يحتسون النّخب، ويتحدثون عن العدالة والسلام.. والمحبة....، والقانون..... وجهادهم المزعوم....، يتساءلون عن ردة فعل الباقين؟؟؟ هل يدركون أي حزن يعصف الآن بقلب الفتى... وأمثاله ؟؟؟!

هذه الأحداث جعلت رشيد ينظر نظرة، أشد وجعا....، نظرة ألم وحسرة، لقلة حيلة هؤلاء الذين أجبروا على الموت، وقبول الظلم..... والتعسف

وكانت جثث الأطفال، والنساء والرجال، تتناثر هنا وهناك، وهذا العنف الهمجي، الذي عاشته تلك المنطقة، قد مس هذا الشعور الموجع الكثيرين فتغلغل في نفوس الباقي، القاطنين في المناطق الأخرى، خوفًا أن يتكرر مسلسل العنف عليهم.

وبدأت أيام أخر..... تجر معها مأساة جديدة لرشيد، وسكان المناطق الباقين فأختاه أمال وسارة، فضلتا البقاء في منطقتهما الرابعة، على الانتقال مع رشيد إلى بيته، بعد أن عرض عليهما ذلك، لأن أحوال البلاد في تدهور ملحوظ.

فخطرت له فكرة الخروج من البلاد، خاصة بعد أن هجر العديد من السكان المنطقة الثالثة ممن فقدوا أهاليهم، ولم يبق بها سوى السكان الذين لا يملكون مأوى آخر، محاولين المحافظة على أملاكهم الوحيدة.

وكثفت بعد ذلك عمليات التضييق، على المواطنين في أرجاء البلاد كلها، وحظر التجوال والسفر ليلا، وازداد الأمر سوءا جراء التعسفات التي تقوم بها بعض الأفراد من السلطة ، ضد المواطنين بالاعتقالات العشوائية

والتحقيقات المستمرة، والتفتيشات المستمرة للبيوت خاصة الأهالي الذين انخرط رجالها وأبنائها في الجماعات، أو كانوا من المناصرين للأحزاب الإسلامية.

أما الجماعات الإرهابية لم تكف، عن إجراءاتها الإجرامية التي تقوم بها ضد الأبرياء، في مختلف مناطق الوطن من شمالها إلى شرقها، من جنوبها إلى غربها، فتضاخم عدد القتلى والجرحى، والمعتقلين والمفقودين في تلك الآونة.

مما زاد الطينة بلة، عندما أصبح الوطن في عزلة دولية، من العالم كله،

ولتضخيم الصحافة الأجنبية الأمور، خاصة الصحافة الأوروبية والغربية ولم يتلقى الوطن مساعدة في حل هذه الفتنة، لا من قريب ولا من بعيد حتى من الجيران الأشقاء، فأصبح المواطنون الجزائريون نقطة شبهة، في جميع البلدان.

خاصة المسافرون الذين تلقوا صعوبات كبيرة، أثناء خروجهم من الوطن، متجهين إلى بلدان أخرى باحثين عن الأمن، وعن وطن آخر ينجيهم من المجازر اليومية.

والجماعات استخدمت أساليب عدة، زادت الهلع والرعب في البلاد، من وضع قنابل ومتفجرات في الأماكن العمومية، وقامت بإلصاق المناشير التهديدية في كل شارع من شوارع البلاد، حتى الجامعات.

والمساجد لم تسلم من أيديهم، وقتل العديد من المصلين في المساجد، فلم يرحموا في بيوت الله.

و قتل فنانين وصحافيين وكتاب، وأطباء وقضاة ومحامين، وتم اغتيال المثقفين والفنانين والسياسيين.....فكم من عملية اغتيال سياسية بقيت غامضة منذ ١٩٩٢:

خاصة عندما يتعلق الأمر بالتصفيات الجسدية:(الرئيس الراحل محمد بوضياف، مرباح، بن حمودة، عبد القادر حشاني، اليابس، و الصحافي إسماعيل يفصح، والفنان القبائلي معطوب الوناس، و الكاتب المسرحي عبد القادر علولة المغتال.....و الكثيرين.

وعلى الصعيد السياسي: قدوم الرئيس اليمين زروال:

عد اليمين زروال رئيس للجمهورية في انتخابات ١٦ نوفمبر ١٩٩٥.

وانطلقت عملية الحوار التي شرع فيها الرئيس اليمين زروال ومستشاره للأمن الجنرال محمد بتشين مع عباسي مدني وعلي بن حاج المسجونين في البليدة وبعد هذا اللقاء الذي تم في فبراير ١٩٩٤، أصدرت رئاسة الجمهورية بيانا يوم ٣ مارس تكشف فيه للرأي العام عن وجود حوار مع قادة الـ "ج.إ.إ/FIS" للتقارب مع الإسلاميين، وهذا لم يتوصل بنجاعة إلى تحقيق الأمان في البلاد، ونسفت جهود المخلصين الوطنيين من جماعة اليمين زروال المنادين بالحوار لإيجاد الحل النهائي للخروج من المأساة وتحقيق المصالحة الوطنية لكل الجزائريين.

المجزرة الثانية في المنطقة الرابعة

بعد كل هذه الأحداث التي أثارت الرعب، والفوضى في البلاد، وازدياد الضحايا كل يوم، باشر رشيد إجراءات السفر إلى أمريكا، مثلما قرر الكثيرون من أبناء الوطن بهجر البلد بعيدا عن الانتهاك، والظلم للأبرياء والآمنين من أبناء الوطن.

لم يخبر رشيد أحدا بقراره، سوى زوجته ووالديه اللذين عارضوا فكرة هجرة البلاد، وتركها للأوغاد.

وفي أمسية الثلاثاء من عام ١٩٩٤، بعد عودته من عمله التقى رشيد بجيرانه المجتمعين في مقهى المنطقة القروي، يتبادلون الحديث حول الأوضاع الأمنية، والأفعال الإجرامية التي تستهدف البلاد والمواطنين.

وما إن انظم إليهم رشيد، تقدم منهم الشيخ الحاج علاوة، بخطواته المتثاقلة التي تجره يمينا وشمالا، ليزيد في رعبهم بقوله:

"مساكم بالخير الرحمان وأعطاكم الأمان في أرض الجنان، يا جماعة الخير إني أنظر أن هذا الواد دما يجري، وهذه الأشجار علقت فوقها أعناق العباد المقطوعة، والكلاب تنهش في أجسادها المتناثر ة في القرية، أرض الله واسعة والله لا يضيع أحدا من عباده إن بحث عن الأمان".

فرد الجار فوضيل:

"ماذا تقول يا شيخنا أرعبتنا؟؟، اذهب إلى دارك ودعنا بسلام "

فقال رشيد: "دعه يتكلم أقسم أنه ليرى ما قد سيحث بنا هنا، إن لم نغادر هذه القرية "

فقال الجار بلال باستهزاء:

"ما بالك يا رشيد، أتصدق كلام شيخ قد ركبته الخرافات، ولم يبقى من عمره إلا القليل، إنه لو يصيبه برد ليموت فورا، استهد بالله يا رشيد ".

ثم حدث جار ثالث قائلا:

"أنت مؤمن بالله، لا تقل لي يا رشيد إن كلماته أرعبتك، اعرف أين يتجه بالك، في تلك الحادثة التي حصلت في المنطقة الثالثة، تلك يا أخي ما كانت سوى مشادات حصلت بين الحرس والجماعات بعد هروبهم منهم، فأطلقوا رصاصهم على المارة والسكان في تلك اللحظة ليوقفوا ملاحقتهم "

فرد رشيد:

"لا تذكرني بالحادثة المؤلمة، وما ذنب عصام الذي فقد أهله كلهم، بالرغم من أنه في حمايتي حتى يأتي أقاربه لأخذه من القرية، إلا أنها أكبر فاجعة تلقيتها في حياتي، إن قلقي

يزداد كل يوم، و أعلم أن الموت يقدر الله الكريم، و لكن البلاد في وضع كثرت فيه الفتن، و العصابات والقتل الجماعي للأبرياء واستهداف الكثيرين في الأماكن العمومية، و حتى النائية إن كل يوم أتابع فيه الأخبار قلبي يزداد وجعا، لكل ما أشاهده من ضحايا بلادي في كل مكان من الوطن، هذا الذي ضحى عليه أجدادنا بالروح والنفيس، و بمليون ونصف المليون من الشهداء، يأتي هؤلاء الصعاليك، و يعيثوا في الأرض الطاهرة بدماء الشهداء لإفسادها وإبادة مواطنيها.....و الله أتأسف أن يكون بيننا مثل هؤلاء... "

أخذ الحاج علاوة ينظر إليهم دون أن يتفوه بكلمة واحدة.

فقال الجار فوضيل:

"سآخذ ه إلى بيته ليرتاح، انه مريض لا يقوى على الوقوف كثيرا، وأعود إليكم لنكمل حديثنا "

و ما إن أمسك بيده، حتى طلب منه أن يضعه تحت الشجرة، المقابلة للمقهى في الناحية الأخرى، ورفض العودة إلى بيته قائلا أنه يريد التمتع بالجو الهادئ، والطبيعة الخلابة فربما لن يحالفه الحظ مرة أخرى، في رؤيتها ثانية.

فاستغرب الجار فوضيل، و أوصله إلى الشجرة وتركه هناك، وعاد إلى أصدقائه ليخبرهم بما قاله، فاستغربوا كلامه مما ازداد رشيد قلقا.

وأخذ يرمقهم بنظراته، من الحين إلى الآخر وإلى الطبيعة من جهة أخرى، وما إن انصرف رشيد إلى بيته، وما كاد يبلغه حتى تثبت به الشيخ كأنه زورق نجاة، فقال له:

"آه يا بني الحياة أصبحت صعبة، والناس قلل ربي خيرهم، وكنا نقول في زمننا مثل قاله أجدادنا الذي خاف نجا وسلم يا بني" ..

ولم يكمل حديثه، أخذ بالسعال الشديد، فأمسكه رشيد وأدخله بيته، وعاد أدراجه شارد الذهن.

وبقي يفكر في كلام الحاج علاوة، إذ فجأة يسمع أصوات صراخ وبكاء نساء، ورجال وأطفال يبكون موتاهم وأقاربهم، الذين سمعوا بهجوم الجماعات عليهم في المنطقة الرابعة من القرية.

فهرع رشيد وبعض من رجال القرية إلى عين المكان، الذي طوقه الدرك الوطني وسيارات الإسعاف، وما إن وصل هناك حتى أخذ يبحث عن أختيه أمال وسارة، فلم يعثر عليهما.

في تلك الآونة كانت الفوضى كبيرة، فمذبحة كبيرة جرت في ربوع أقسام المدرسة الابتدائية.

فقد قتلوا بأبشع الطرق، وكانت أيادي الحماية تحملهم، من قاعات الدراسة المحطمة.....، والمناضد المتناثرة...، والطاولات المقلوبة.....والكراريس المملوءة دماء.....، والمبعثرة هنا وهناك.

كل هذه الصور المحزنة لعالم البراءة، تعجز الأقلام والأفواه عن التعبير عليها، وتتوقف اللقطة لترصدها من الواقع الأليم.....

في هذه الأثناء تعود بعض النسوة اللاتي كن يأتين بالماء، من جهة بعيدة قليلا عن المنطقة، مبتسمات حاملات الجرات في أياديهن، وما إن اقتربن حتى فوجئن بالكارثة، وبدأن بالصراخ والبكاء على أهاليهن وأولادهن.

فلاحظ رشيد أختيه بين النسوة، فحمد الله على نجاتهما، وطلب منهما الإقامة معه في بيته بعيدا عن هذا المكان، لتقابلنه بالرفض بأن الهرب من مكان إلى آخر، لا يعني أنك لن تواجه الموت هناك إن كتبه الله لك.

ويعود رشيد خائبا، متحسرا لما حصل للأطفال من جهة، ولرفض أختيه الإقامة معه من جهة أخرى، وشيعت بعد ذلك جنازة الأطفال الأبرياء، والأساتذة الذين وقعوا ضحايا في ربوع المدرسة البسيطة، التي جمعتهم على طلب العلم وبلوغ الدرجات العلا.

جانفي ١٩٩٤ "الرعب و الشناعة !!:

قرر فجأة رشيد بعد مرور عام لتأخر إجراءات السفر المعقدة، بالنزوح إلى المدينة، مؤقتا لدى صديقه محسن إلى غاية موعد هجرته إلى أمريكا، ليلتحق بأخيه وأختيه هناك.

وفي اليوم الموالي كانت العائلة متأهبة للسفر، فبينما كانوا يضعون الحقائب في السيارة، اقترب الجار فوضيل من رشيد ليستغرب قراره في الرحيل، فسر له رشيد الأمر، وأخبره الجار بالفتية الثلاثة زبير وخذير ولخضر، الذين لم تظهر لهم أي آثار، و أنهم مختفون منذ قرابة ثلاثة أيام وعائلاتهم مضطربة في أمورهم، ظنا أنهم في إحدى الجهات كعادتهم يخمرون، لكنهم لم يعثروا عليهم بعد أن قاموا قبل رحيلهم بتصرفات استغربوا لهم فجأة في تغير عاداتهم السيئة، في شرب الخمر وإزعاج السكان ليلا، ليتوبوا عن ذلك إلى عبادة الله وهداية الناس وأمرهم بالأعمال الحسنة.

فاقترب الشيخ علاوة أثناء حديثهما محدثا:

"إنهم آتون ولن يأتوا إلا وفي أيديهم سيوف تنحرنا من رقابنا..... " ثم انصرف.

فاستغرب فوضيل ورشيد الأمر، وما إن سمع عياش الحديث عنهم، حتى اقترب ليقاطعهما بأنهم أتوا إليه وحدوثه قبل رحيلهم، عن الجهاد ضد الفساد والمنكر، الذي تعيشه

البلاد محاولين استدراجه إلى الرحيل معهم، ودس أفكار متشددة، يدعون أنهم يهدون النـــاس المرتدين عن الإسلام.

فرمق رشيد ابنه وأمسكه من كتفه بقوة، ولامه لأنه لم يخبره بذلك وطلب منه الدخول إلى المنزل.

وبعد اكتمال الحديث بينهما ذهب فوضيل إلى الجيران الآخرين ليخبرهم بمـــا فعلـــوه الشبان الثلاثة، فذاع الخبر بعد ذلك في القرية بأكملها.

و ازداد الأمر سوءا عندما وصل الخبر إلى الحراس الدركيين بالمنطقة خاصة بعـــدما أرسل الشبان الثلاثة، تهديدًا برسالة بعثوا بها عبر دركي اختطفوه، وسلبوا منه سلاحه وثيابـــه العسكرية، وبعثوه إلى المركز فأرسلت دوريات للبحث عنهم، واستجواب كل من في المنطقـــة بجلبهم إلى مركز التحقيق ظنا أنهم سيتوصلون أيدي في الأعمال التي جرت في المنطقتين.

في تلك الأثناء الجماعات في الفرقة الأولى، بقيادة الأمير المدعو مصعب، أنشا فرقـــة تدعى فرقة الموت المستلهمة ونصب نفسه "أميرا" وخليفة له رحيم، وأنشأ جماعتـــه المـــسلحة الخاصة به، تحت اسم الدعوة من أجل الجهاد ومحاربة الفساد.

وعلى رأس تنظيم الأمير، قتلت العديد من العائلات رجال ونساء، وأطفال وشـــيوخ، وكانت أولى العمليات التي وقعت في مجزرة المنطقة الثالثة، في مدرسة أطفال صغار أبرياء، لتعلق جثثهم على أبواب الأقسام وتنثر هنا وهناك.

فكانت الجماعات في أغلب أرجاء الوطن، أولى العمليات التي تقوم بها تستهدف قطاع التعليم والتربية والعلوم، لشل الحركة الثقافية والتعليمية.

ولقد بدأت الفرقة الأولى تنشط بصفة خاصة، لتكثف عملياتها من جديد بنطاق أوسع.

و كان ١٦ جانفي ١٩٩٤ قرار تاريخي لتنفيذ المجزرة الرهيبة لإبادة المنطقة الأولـــى مرورا بالمناطق الأخرى من القرية.

ولكن نسبت إلى نفسها، جهادها المزعوم ضد الكفرة من المواطنين، لتقوم بالاغتيالات وتترك بصمات دامية ودائمة في البلاد.

وهذا مثال واحد من بين العديد من الأمثلة عن تعدياتها بقول الأمير:

"هذا هو المصير الذي ينتظر أولئك الذين كفروا، قد تم بعون من الله الجهاد فيهم لمحو الكفر، وطغيانه في البلاد".

وكان من أبرز التابعين في الفرقة الأولى المتشددة:

عادل، صابر ورحيم وسليم وطارق وحفيظ ولمين وعبد القادر ومحفـــوظ.....إلـــخ ليلتحق فيما بعد إلى صفوفهم سلام.

وكانوا يتنكرون في كل حادث بلباس مختلف خاصة، فعند قيامهم بالحواجز المزيفة، يلبسون لباس عسكري وأحذية رياضية.....!

وكان أغلبهم بدون لحية، فليس كل من في الجماعات بلحية، فكانوا قلة قليلة جدا ممن يضعونها، أما الأمير فكان يمتاز بها كثيرا لتميزه عنهم بصفته القائد والأمير.

وأحيانا كانوا يرتدون ثيابا عادية، حتى لا يشتبه بهم فيدخلون وسط الناس كأفراد منهم، مما جعل الكثيرين لا يشكون في أمرهم، خاصة في حالات مراقبة الأوضاع في منطقة معينة، لتقصي الأخبار وتنفيذ خططهم بعد ذلك لما يواتي الظروف.

و لم تكن وظيفتهم مقتصرة على هذه المهمة فقط، بل كانوا يقومون بنصب الكمائن ويشاركون في عمليات إجرامية كثيرة، وقد قاموا بتطبيقها بدقة متناهية، مع تكييفهم الخاص، مع ما يناسب ظروف القرى والمداشر، والذي تلقنوه عن أساتذتهم وطبقوها بذلك عليهم.

بعدما شحنت أفكارهم بالخرافات والقناعات المشوهة وتنمية القائمين عليهم بالتدريب والتثقيف النفسي والبدني.

لقد حلت الجماعات ، جزءا من مشاكل النظام، حيث إن العديد من الشباب البطال، الذين سدت في وجوههم منافذ الحصول على الرزق، وجدوا في الالتحاق بهم مخرجا لهم!

أصبح الشبان المجنّدون يتقاتلون مع إخوانهم، فمكّنت هذه العملية من دفعهم للالتحاق بصفوف المقاومة المغشوشة، والملغمة التي أعدها الأمير ثم بعد ذلك ملئت الصفوف في الجبال بعناصر، من أصحاب السوابق والمنحرفين والمؤهلين لارتكاب أفعال منكرة أخلاقيا ودينيا.

مما زاد من تشويه صورة المسلمين هذه، أكثر فأكثر في أعين السكان وحرضوهم على التجند خلف النظام، وهدف آخر هو استخدام هؤلاء الأفراد لتأجيج الحرب بين الأشقاء وبين آبائهم وإخوانهم.

و المحاربين كانوا يجهلون كل هذه التلاعبات، وكل ما كان يستحوذ على ألبابهم هو الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله، و صد الكفر عن البلاد والعباد، وبالفعل كي يتقاتلوا يصفي بعضهم بعضا بكل شراسة، وهذا لم يمنع من الخلافات أن تتأجج بينهم، لما يدور من مشاكل حول القيادة تحت إمرة أحد معين، أو اتباع منهج آخر خاصة بين الجماعات الأخرى، التي تعترض في أشياء كثيرة، كفرض فرقة ما أن تنظم أكبر عدد لها، تحت إمرة أمير معين، أو في الاختلاف حول عرض العضلات، لمن ينفذ ويحصد أكبر قتلى من المواطنين الأبرياء.

في نفس الوقت فالسلاح ووسائل الاتصال والأدوية والمئونة، كان يؤتى بها من مجهولين يساعدوهم بذلك بإيصالها لهم.

(فالطبيب حمنة الدكتور كان يذهب إلى الجبال لعلاج الجرحى!)

خاصة الفرقة المكلفة بحراسة مركز القيادة، أو المكلفة بتنفيذ العمليات الكبرى كالهجوم على الثكنات وما شابه ذلك.

الأمير توصل إلى جلب الأسلحة وتوصيلها...، وكانت إستراتيجيته تستوجب صرف الأموال، وقد تمكن من ذلك، بفضل ما كان يتوفر عليه بالخصوص من إمكانيات معتبرة، (أموال، امتيازات من كل نوع، ابتزاز، وسرقة المواطنين، ومن تورط بعض رجال الأعمال في الداخل وفي الخارج، الذين كانوا يبيعون الأسلحة، وهم يعرفون نواياهم المدبرة ضد المواطنين الآمنين، لا ضد أعداء حقيقيين في حرب وجها لوجه ...)

أهداف الجماعات

عملياتهم كانت تستهدف عدة غايات في نفس الوقت

أولا: تجنيد أكبر عدد من الشبان، لتمويل المقاومة بالدّفعات المتجددة من المحاربين وإسناد حربي.

ثانيا: وشبكات إمداد خارجي تنظم عمليات إدخال الأسلحة عبر الحدود.

ثالثا: إسقاط أكبر عدد من المواطنين وسلبهم أموالهم وأعراضهم.

رابعا: استهداف مراكز القوات الأمنية وإسقاط ضحايا عديدة منهم.

خامسا: تخريب الجانب الاقتصادي للبلاد كاستهداف المؤسسات والشركات المختلفة.

سادسا: استخدام القنابل لإسقاط الجسور، وهدم المباني والأسواق الشعبية والمطارات وكل الأماكن العمومية.

الأمير أصبح هو وجماعته من العملاء الأكثر نشاطا، في تطبيق إستراتيجية الرعب التي وضعها بالنظام المسلح في الجبال، أو العاملة داخل المدن.

الإكراه

سلام: رجل عرف باستقامته ونزاهته، هذا الإنسان الذي كان بائعًا صغيرا بدون أية معرفة بالجماعات، أو أية صلة بهم يصل فجأة، وبسرعة البرق إلى مرتبة إرهابي في صفوف الجماعات.

نجح الأمير وجماعته في أن يقنعوه بالانضمام إلى صفوفهم، ومن أول اتصال به تمكنوا من السيطرة عليه، ولم يتمكن بعد ذلك من التملص منهم، بسبب ابتزازه من طرف الأمير.

فكان يمتلك معلومات تخص أخته التي كانت تعمل أستاذة، كرست نفسها للتربية الإسلامية في تعليم الأطفال الصغار، فكانت تمتاز بشدة الجمال والبساطة، بأن يستغل الفرصة لتهديده باختطافها أو قتلها إن امتنع عن القيام أو أداء عمل ما.

فقبل التعاون معهم وأصبح يطبق كل تعليمات الأمير، ولكن في الحقيقة لقصره وعدم قدرته على ارتكاب المجازر، وكلت إليه مهمة جمع الغنائم ومساعدة أصدقائه، في القبض على أحد الرجال، إن استعصى عليهم ذلك أو في حالات اختطاف النساء والفتيات.

و لقد هزته عقيدة هؤلاء منذ أن لحق بهم إلى هنا...، وكان طوال شهور ماضية يحاول أن يرى منهم، ما يجعله يصدق مسئولية هؤلاء.....؟؟؟.

غير أنه كل يوم يفاجأ بالعكس..، كانت نفسه تتوق إلى معرفة ما يقف وراء هذه الأخلاق البذيئة ؟؟؟

كان يرى النتيجة ويطمح إلى معرفة مقدماتها، وكيف تفاعلت لتعطي كل هذا، ولقد أهاب الله تعالى سلام طريقه إلى النور، بأن يجد في إحدى المداهمات التي قاموا بها، على منطقة معينة من المناطق، ليقوموا بأعمالهم الإجرامية، كتاب شرح الإسلام لأحد العلماء المسلمين، فأثناء قيامه بالسرقة أخذه خفية عن الباقين، وأخفاه واستمر في قراءته بعد ذلك دون علمهم، وكانت شفتاه ترتعبان مع شفاه إخوته من الآمنين، الذين تمارس فيهم أبشع طرق الاغتيال.

وشرح الله صدره... بهذا الكتاب وبهداية منه تعالى الذي أرادها له فإنه يهدي من يشاء سبحانه.

"الله أكبر وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، لا إله إلا الله ولا نعبد ربا سواه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون".

أحس سلام بعظمة الله، الذي يغير الأحوال ولا يتغير الاعتقاد به، ومن فرج إلى شدة تبقى العبادة مصروفة له وحده...وتمنى أن يخرج من صراخ كل ليلة بعد منتصف الليل من

حصص العذاب المنتظمة للمختطفين من الرجال والنساء وبعض من أفراد الأمن، أن يكون واحدا من... منقذي هؤلاء.

وأثناء كل هذه الفترة، ذاع صيت الأمير، نتيجة أفعاله المدويّة، التي تتباين مع مستوى سلام الأخلاقي، تباينا صارخا لما يقوم به مع تابعيه.

وبعد أن هداه الله إلى الطريق الصواب، و أناره له فضل الدعوة إلى إسلام عادل، متسامح، وسلمي لباقي أصدقائه.

وقد كان يمثل بذلك التوجه المعاكس، للذين ظلوا يبحثون دوما عن كل ما من شأنه أن يشوه صورة الإسلام الحقيقي، لتبرير حربهم ضد المواطنين بمختلف شرائحها.

وقد لاقى أقسى الشدائد في إقناع الزملاء، بأنه ورب الكعبة هذا الجهاد والقتال وطرقه غير صحيحة، في أي أرض ولا في سواها إلى يوم الناس هذا.

وكان الأمير يقدم النوادر للشباب العربي الصاعد، حتى تغره الشعارات الزائفة المرفوعة ضد هذا أو ذاك، من السلطة أو المثقفين، أو من النساء والأطفال الصغار، والشيوخ والشباب الآخرين، بالتهم الجاهزة والمظالم الجائرة.

سلام قبل أن يخل بالالتزام بعد ذلك، لم يكن أبدا من المتعاطفين معهم، فلم يكن لا إسلاميا متشددا، ولا مختلا عقليا، ولا ضائعا ولا ضالا، فهو لا يعد من الجماعات بالضبط، كونه مكلف بمهمة مكره عليها بالقوة تمس حياته وحياة عائلته.

كان منفذ الأوامر المعينة، والمجبرة التي يتلقاها من الأمير، والقادة الكبار، في تسلسلات يقودونه إليها.....

كانت الجماعات تضع الأقنعة على وجوههم أثناء القيام بالعمليات، أو يتنكرون كذلك في هيئة إسلاميين، للقيام بعمليات اختطاف، واغتيالات وأصدروا العديد من البيانات، أعلنوا فيها أن أي شرطي أو عسكري، يقتل أحدًا من الإسلاميين، سيثأر له وإن لم يعودوا من كفرهم والمواطنين سيلقون حتفهم.

سلام لا يمكن بأي حال من الأحوال، أن يقبل بالاستمرار في الخدمة معهم وقناعاته الدينية زادته قوة في استنكار إجرامهم، وكذلك التقدير الذي يحظى به زيادة على كونه حظي على ذريعة قوية جدا، وهي كونه قد ساهم في إسقاط أفكار الأمير من عقول، أفضل قادته وأقربه إليه، جاهلين تماما أن "أمراءهم" كانوا مستخدمين أوامرهم، بتجاوزات أجنحتهم الوحشية، التي تهاجم الشعب وتستعديه.

فبقوة ذكائه استطاع إقناع واحد تلو الآخر بالحقيقة للإسلام، الذي زيفوه لهم، وبذلك أخبروه أن التعليمات تأتي للأمير أيضا، من قادة آخرين من الداخل ومن بلدان أخرى، وبفتاوى أئمتها الذين يحرضون ويدعمون في انتشار الفساد والإجرام أكثر.

والأمير لم يجد أي صعوبة في التجنيد، فالأمر كان يتعلق عموما بشبان بطالين، ومثاليين سذج حانقين، ومثارين ضد القمع الذي ذهبوا ضحيته.

فالأمير هو من يعطي أوامر التجنيد، وتوجيه الشبان الضالين إلى ارتكاب مذابح مفزعة "باسم الإسلام".

لمجازر شنيعة ذهب ضحيتها الآلاف من الجزائريين، الذين كانوا في معظمهم من المدنيين، وقع عليها الأمير ليهاجم فيها المواطنين ويحكم عليهم بالموت!

والمسربين إلى داخل الجماعات أيضًا، كانوا معرضين إلى الموت في أية لحظة، وأن قتلا شنيعا ينتظر كل واحد منهم، لو يكتشف أمره إن أبى أو عدل عن ارتكاب الجرائم معهم، ولتفادي هذا المصير كان يتحتم على بعضهم أن يتموا اللعبة إلى آخرها ويقوموا بدور "الإرهابيين".

وبذلك لم ينج حتى أكثر أفراد المجتمع ضعفاً مثل المسنين والمرضى والرُضَّع والحوامل، فسقط منهم ضحايا للعنف الذي لا يكل ولا يحصى.

ورُوِّع السكان المدنيين من جراء هجمات بالقنابل، وقذائف على الأسواق والمقاهي والقطارات، والحافلات وغيرها، من الأماكن العامة.

وصاروا يخشون السفر على الطرق، بسبب الحواجز التي يقتل عندها المسلحون، راكبي العربات المارة بصورة انتقائية.

وفي حوادث القتل الفردي والجماعي، على أيدي الجماعات المسلحة التي تطلق على نفسها اسم "الجماعات الإسلامية" يقتل رجال ونساء وأطفال ورُضَّع بالرصاص أو بجز الأعناق.

وقد تعرضوا للتشويه، أو الموت حرقاً، أو تحولوا إلى أشلاء متطايرة في انفجارات بالقنابل.

وتعرضت نساء اختطفتهن الجماعات المسلحة للاغتصاب، وقُتل مدنيون عزل بالرصاص على أيديهم، وكان ذلك أحياناً في بيوتهم ووسط أسرهم.

كما لقي آخرون حتفهم من جراء التعذيب، وكانت تلك الجثث في بعض الأحيان مشوهة أو ممزقة الأوصال.

وكان من شأن ستار الإفلات من العقاب، أن يتيح لكثير منهم ارتكاب أفظع الجرائم، والإفلات من قبضة العدالة، وأن يحرم الضحايا وأسرهم من فرصة طلب الإنصاف.

وكانت تدل عقولهم على وجود عقليات متخلفة، أشبعت بالغلو والتطرف والتكفير، من قبل بعض علماء السوء الذين لم يفقهوا من دين الله شيئا.

لكن بالتوازي مع ذلك أنشئت جماعات أخرى، أخذت تتشكل من مجموعات سديمة صغيرة، بعضها يعمل بكيفية مستقلة، والبعض الآخر كان مخترقا، والبعض الثالث تحت السيطرة المباشرة لأمرائهم، ومن ثمة الوصول إلى تكوين بسرعة ومتضاعف الأعداد على مستوى التراب الوطني.

فقد استفادوا من ضم العديد من الإسلاميين، الذين اقترفوا جرائم إرهابية وسط الوطن وشرقه وغربه، و شماله وجنوبه.

هذا هو منشأ تلك النزعة القوية، التي جعلته دائم التحريض على الشقاق وإثارة النزاعات، وخلق المشاكل والأزمات، وإذكاء نار الفتنة، وتعميق بؤر الخلاف والتطرف، بكيفية تحول دون التوصل إلى أي حل يجمع عليه الجزائريين.

وبالمقابل فقد استغلت الفرصة، جماعات الجريمة المنظمة والمافيات السياسية والمالية، التي تتستر بغطاء الجماعات المسلحة، وتمارس القتل والنهب والاستيلاء على الأموال، والممتلكات العامة والخاصة، وتقوم بتصفية الحسابات بين أصحاب النفوذ المالي والسياسي والعسكري، من قتل ونهب وحرق ممتلكات، ثم يتم نسب تلك الجرائم إلى الجماعات المسلحة.

ومع مرور الزمن يترسّخ نفوذ هذه الجماعات في الواقع، ويصبح التغلب عليها أكثر صعوبة.

وهناك جماعات الثأر العائلي، وهي جماعات غير منظمة، وغير خاضعة لأي سلطة، وهي جماعات تظهر وتنتشر في مثل الأوضاع التي تعيشها بلادي.

وتقوم تلك الجماعات بأعمال القتل، ثأرًا لقتيل من أهلها وانتقامًا من قاتله.

أما الفرقة ٢: تكونت بأمر الأمير المدعو سيفا، (فاروق والطيب، محمد ووهاب، فارس، إبراهيم....).

وكان رأيهم وقوتهم، مصوبة لمواجهة قوات الأمن، دون المواطنين فقد كانوا يتشابكون معهم، فقط دون أن تمتد أيديهم إلى الأبرياء، فكان الأمير المدعو سيف، لم يجمع إلا القليل من المقاتلين.

وأثناء المداهمات التي يقومون بها على العائلات، لا يطالبون إلا بالمأكل والمشرب والأموال، دون المساس بحياتهم، فكان هذا هو منهجهم الذي يتبعونه في ذلك، فكانوا هاربين من السلطة، من مكان لآخر دون إلحاق الأذى بالآمنين.

تعقيدات الوضع الجزائري قد صنعت مناخًا عامًا سياسيًّا واجتماعيًّا واقتصاديًّا وأمنيًّا، تترابط حلقاته بإحكام، وتقودها جميعها إلى استمرار الأزمة الجزائرية بل وتفاقمها.

التعسف

وطوقت المنطقة بأكملها حوالي الساعة ١٠:٠٠ صباحا، ليجروا رجالها إلى المراكز للاستجواب، فقاموا بعمليات تعسفية ضد المواطنين، بإخراجهم بالقوة من بيوتهم، وتفتيشها بأسلوب همجي، وقلب كل ما فيها رأسا عن عقب.

رشيد أثناء اعتقاله مع أبناه الثلاثة، كانت يداه ممتدتين نحو أمه، وزوجته يقول لهما:

"لا تقلقا سأرجع...اهتمي بنفسك وبالأولاد...وبوالدي وبالصغيرين.....

قالت له أمه وهي تبكي:"سترجع يا ولدي سترجع....."

بدأ الاستجواب المطول، وتم هكذا توقيف الآلاف من الأشخاص بواسطة قوات الأمن، ليس في المنطقة فقط بل في أرجاء التراب الوطني، وهم عادة يعتقلون ويستجوبون أولا في محافظات الشرطة، ثم ينقلون لاحقا إلى للناحية الأخرى، حيث تتم إجراءات أخرى.

وعلى الرغم من ضخامة المشكلة، أُجري تحقيق في حالة واحدة من الآلاف من حالات التعذيب، أو المعاملة السيئة التي نمت إلى علم منظمة العفو الدولية، والتي ارتكبتها أفراد من السلطة، لمن تعرضوا للتعذيب أو المعاملة السيئة في الحجز وذلك لما تلقوه من صدمات عديدة، و جدتهم يكتشفون انخراط بعض منهم في الجماعات فجأة .

وما زالت مثل هذه الانتهاكات لحقوق الإنسان تقع دون أن يجري التحقيق فيها، ويحظى المشتبه في مسؤوليتهم عنها بالإفلات من العقاب.

وفي يقين مطلق أن هذه الجماعات بأعمالها الشنيعة، كانوا بالرغم من الحواجز، التي يقيمها رجال الدرك في كل مفترقات الطرق الوطنية، فقد تمكن القتلة من الانفلات وجر العديد غلطًا وتعسفًا، ونظموا في صفوف الجماعات بدون أدلة تثبت عليهم.

فأعضاء من السلطة استخدمت أساليب، من شأنها إثارة الحقد والبغض والانتقام، حتى جعلت آخرين بسبب تعسفها في استخدام القانون لأغراضها المختلفة، يفرون هربا منهم خوفا من أن يلاقوا مصيرهم مثل الباقين، ممن اعتقلوا وعذبوا وفقدوا سنوات ولم يعثر لهم على أثر.

فالظروف قادتهم للجوء إلى الجبال، لينضموا إلى صفوف الجماعات، فوجدوا أنه المخرج الوحيد لهم، خاصة للذين لم تتوفر لهم الإمكانيات للخروج من البلاد، وهذا ما زاد الطين بلة.

الخوف من أعضاء في النظام، خلق عدة مشاكل عن أخطائهم الفادحة، التي جروا بها من وراء ذلك، تكوين جماعات أخرى تطاردهم في كل مكان منتقمة لما فعل بهم وبأهاليهم المفقودين.

و لم يدرك أعضاء من النظام، فظاعة تصرفاتهم، التي انعدمت الثقة فـــي أوســـاطها، بسبب الحقائق التي لمستها بعد ذلك، من شأنها آذتهم، و هذا ما دفعهم بالتعسف وبـــإجراءات فردية عديدة قاموا بها.

كانوا يعتقدون، أنهم باستخدامهم طريق العنف ضد المواطنين، يتمكنوا مـــن العثـــور على أوكار وأماكن تواجد الجماعات المسلحة، أو العثور على من يقدمون المئونة والمساعدات الإنسانية لهم من المواطنين.

إنها ترتكب جريمة أخرى ضد الكرامة الإنسانية، .....فالعنف يؤدي إلـــى زيـــادة العنف.....، و الحقد يؤدي إلى تفاقم الحقد.....، و البغض يؤدي إلى تـــراكم الـــبغض.... والقوة تؤدي إلى استخدام قوة أكبر.....

والعذاب...والكراهية.....تؤدي إلى نتائج أكبر وأخطر....لو عرفـــت الأجهـــزة المختصة، التعامل آنذاك معهم، لكانت الأمور أقل ضررا.

وتم بعد اختفاء الآلاف من المواطنين الأبرياء، وازدادت الحالة سوءا، وفقـــدوا فـــي ظروف غامضة من طرف المجهول، ومنهم الكثيرين الذين لم يعرف لهم أثر، أو حياتهم مـــن وفاتهم.

التعذيب

في ظل الاستجواب في المراكز، أطلق صراح بعض الرجال الغير مشتبه بهم، أو من لا يملكون معلومات تفيدهم، و أثناء ذلك حان دور عياش الذي وصلتهم معلومات، بأنه آخر واحد قابل الفتية الثلاثة قبل رحيلهم.

مما ازدادت الشكوك حوله فاقترب الدركي منه، ورفع قبعته ونظر إليه طويلا، وأخذ بطرح الأسئلة غير المتناهية، واتهمه بالتعامل مع الجماعات، فأنكر عياش أن لا علاقة تربطه بهم، ما داموا فتية منحلين خلقا ومعروفين باعتيادهم لشرب الخمر وإزعاجهم للسكان.

تدخل رشيد في تلك الأثناء مدافعا عن ابنه، أنه لا يسمح له الارتباط بهذه الأشكال الفاسدة من الشبان.

و بالرغم من كل هذا لم تقنعهم التصريحات، فبقي في المركز لاستكمال التحقيق، وبقي معه ياسر وقلة من المشتبه بهم.

ياسر: العامل البسيط على ثمانية من أفراد عائلته في الأرض كفلاح بسيط يشقى من أجلهم، قبل حدوث الاعتقال كان قد نقل عائلته لدى أقاربه في المدينة، لاستمرار الأحداث الإجرامية في المناطق.

وبعدها لما قدم إلى بيته ليجلب بعض الأغراض، اتهم أنه من الجماعة التي تحضر للقيام بعمليات اغتيال، وقيادة جماعة أشرار ذات علاقة بمؤسسة إرهابية ومسلحة، تهدف إلى ارتكاب جرائم تخريب وتدمير.

ومنذ ذلك اليوم لم يعلم له أثر، ولم تعرف عائلته مصيره من حياته، أو مماته.

لكن دون دليل يقودهم إليه واقتيد إلى قاعدة عسكرية محلية، حيث عُذب على مدى ستة أيام قبل نقله إلى السجن، وقد تعرض للضرب، وأُجبر على تجرع المياه القذرة، كما عُذب بالصعق بالكهرباء.

وأعتقد أنه اعتُقل وعُذب، لأن قوات الأمن تظن أن لديه معلومات عن انتهاكات حقوق الإنسان في المنطقة من قبل الجماعات.

أما عياش اقتيد إلى مركز آخر، لا يعلم مكانه، وهناك عُرض على معتقل آخر أثناء تعذيبه، وأُبلغ أنه سيواجه نفس المحنة إذا رفض الكلام.

وعندما قال إنه ليس لديه معلومات يقدمها، اقتيد إلى زنزانة وجُرد من ملابسه، وأجبروه على الاستلقاء على مقعد خشبي طويل، وسددوا لكمات إلى وجهه وجسده إلى أن بدأ يتقيأ دماً.

ثم قُيدت قدماه بحبل ويداه بقيد حديدي، وبُلل جسده بالماء قبل تسليط الكهربـــاء علـــى أصابع قدميه في البداية، مما أدى إلى فقدانه الوعي.

وأُجبر كل من عياش وياسر أيضاً، على تجرع كمية كبيرة من المياه القذرة، من خلال قطعة من القماش وضعت في فمهما، كما أُلقي في عينيهما رماد لفافات تبغ مشتعل.

و المزيد من التعذيب، حيث ضُربا بالأحزمة وأسلاك الكهرباء، وأُطفئت لفافـــة تبـــغ مشتعلة في وجهيهما، وكانت آثار التعذيب واضحة في وجهيهما، وبعد ذلك حولا إلى السجن.

وعلى الصعيد السياسي

إحصائيات رسمية للمفقودين

فقد "اختفى" ألوف الرجال والنساء الجزائريين بعد أن اقتادتهم قوات الأمن أو الميليشيات شبه العسكرية إلى مصير مجهول في الفترة بين عامي ١٩٩٣ و٢٠٠٠ طبقا لمصادر رسمية جزائرية.

و تلقت منظمة العفو الدولية منذ ١٩٩٤ قرابة أربعة آلاف ملف لحالات أفراد "اختفوا" بعد أن اقتادتهم قوات الأمن أو الميليشيات، من بيوتهم أو أماكن عملهم أو أي مكان آخر، وحدث هذا في كثير من الأحيان أمام أقاربهم أو جيرانهم أو زملائهم أو المارة.

غير أن عدد حالات "الاختفاء"التي سجلتها بعض منظمات حقوق الإنسان الجزائرية يتجاوز فيما تردد هذا الرقم بعدة آلاف.

كما لم يتم الكشف عن مصيرهم أو مكانهم .وأُغلِقَت في هدوء المكاتب التي أقامتها وزارة الداخلية عام ١٩٩٨، لتلقي الشكاوى عن حالات "الاختفاء"والتحقيق فيها، دون أن تقدم أية معلومات في الغالبية العظمى من الحالات. ومن ناحية أخرى وسع العاملون في مجال حقوق الإنسان وأهالي "المختفين" قائمة الحالات الموثقة إلى أكثر من ٤٠٠٠ حالة، ينطوي معظمها على عمليات خطف أو اعتقال وقعت بين عامي ١٩٩٤ و١٩٩٦. ويقتصر هذا الرقم على الحالات التي توجد بعض الأدلة على ضلوع قوات الأمن فيها، وعادة ما تكون الأدلة أقوال شهود عيان رأوا الشخص أثناء القبض عليه أو في مرحلة ما أثناء احتجازه.

الرحيل إلى الأبد

عاد رامي وحسام ورشيد إلى البيت بدون عياش، وفي طريق العودة، شعر رشيد بأن الحياة ضاقت به، فقد ظل صامتا طوال الطريق، و الحزن ينفخ في روحه، والشمس كانت قد مالت إلى المغيب في ذلك الوقت.

وما إن تراءى لهم البيت من بعيد، دوى في الأرجاء طلق ناري...هاجت معه الكلاب بنباحها.....ومن بعيد ترامت صرخات نسوة من بيوتهن.

وأطل ساكنو الأكواخ والمنازل الفقيرة، من كل سفح وربوة يستطلعون خفية من نوافذهم وشرفهم وأسطحهم ما يجري في المنطقة.

فكانت الاشتباكات بين الدرك والجماعات، التي داهمت المنطقة، فهرب رشيد وابناه ومن كان من المارة هناك في الطريق، فزعين يبحثون عن أماكن يختبئون فيها حتى لا تصيبهم الطلقات.

فوقع ما لم يكن في الحسبان، حين تلقى حسام رصاصة مجرمة، تبقيه ملقى على الأرض، يتخبط في دمائه، فلا تكاد تميز الطلقة ممن صوبت أهي من الجماعات أم من أفراد الدرك.....؟؟؟؟؟

فحمله رشيد ورامي إلى جهة اختفوا فيها، محاولين إسعافه في حديقة أحد الجيران التي دخلوها واختبئوا هناك.

فظن رامي بأنه يمكن له إحضار المساعدة، قبل وفاة أخيه فقفز من سور الحديقة، متجها نحو البيت وما برز حتى انطلقت فيه الرصاصات من كل جهة، من جهة الدركيين الذين اعتقدوه إرهابيًّا فارا منهم، و من جهة الجماعات التي اعتقدت أنه دركي متجه إليهم.

تأثر رشيد بصراخ ابنه الثاني، فما إن وجه أنظاره من خلف السور حتى رآه طريح الأرض، وهو يوجه يده نحوه ليلفظ أنفاسه الأخيرة وهو يوجه بصره ناحيته.

وما إن ناداه ابنه الجريح الآخر حتى لفظ أنفاسه هو الآخر، ليبقي الأب رشيد في تلك الآونة، بين صدمة ابن معتقل، وابن قتل، وابن آخر جرح ومات هو الآخر.

ولم يدرك ما يفعله سوى الدعاء والبكاء، وانتظر هناك طويلا، ولم تتوقف الاشتباكات بين الطرفين، مما جعله يفكر طويلا في كيفية الخروج من هناك، للوصول إلى عائلته الوحيدة في المنزل.

فاضطر إلى التسلل عبر أسطح المنازل لجيرانه، ليصل إلى بيته الذي لا يبعد إلا بسبع منازل فقط.

فوقع رشيد جريحًا من شدة قفزه، ومن الكدمات التي أصابته من جراء ذلك، ومـــا إن وصل أخيرا بعد اجتيازه لمرحلة صعبة، في محاولته إبعاد الأنظار إليه.

وصل بآلامه تلك إلى منزله ونزل هناك، وأخذ يطرق باب السطح ليفتح له أحد مـــن العائلة.

لكنهم كانوا مختبئين في الصالون المظلم، الذي ضمهم ذعر وخوف شـــديد، خاصـــة الطفلة الصغيرة مرح وزميلها عصام.

فهشم رشيد زجاج نافذة السطح ليدخل عبرها، فوقع على السلالم بعدما رمى بنفسه من هناك، فانكسرت رجله، وأحست العائلة بوقوع شيئا ما مما ازدادوا خوفا.

أخذ رشيد بالزحف عبر تلك السلالم الطويلة، وما إن وصل إلى باب الصالون، أخـــذ يمد يده طارقا ليفتحوا له، فازداد فزعهم وأخذ الولدان بالبكاء وراحـــت الأم لبنـــى وعفـــاف بتهدئتهما.

بينما الجدين أخذا بترديد بعض الأدعية رافعين، أيديهم إلى السماء مناجين الله تعالى، ثم توكأت العجوز بيدها على ركبتيها، بينما يدها الأخرى في يد حفيدتها،وقامت وهـــي تطلـــق تأوها طويلا مصاحبا لخوفها، وقد أتعبتها آلام المفاصل التي كثيرا ما تشتد عليهـــا لمحاولـــة معرفة من الطارق، لكن سرعان ما منعها الجد وأجلسها بقربه.

ثم نادى رشيد على مرح، التي سمعته وأخبرتهم بذلك، فظنوا أنها تتوهم ذلك، ولكـــن عفاف حاولت استطلاع الأمر هي الأخرى، فاقتربت تدريجيا من الباب وما إن سمعت صوت أباها، حتى همت بفتح الباب فطلبت الأم منها عدم فعل ذلك، وضمت إليها الولدين، والجـــدين فقد ازدادت أصواتهما علوًّا بالدعاء والمناجاة والبكاء.

و ما إن فتحت الباب، حتى وجدت أباها جريحا، فطلبت المساعدة مـــن أمهـــا التـــي هرعت مسرعة لإدخاله هناك. وأخذت الجدة وهي تقوم إليه في لهفة متوكئـــة علـــى آلامهـــا وعقود عمرها قائلة: "بني رشيد، بني رشيد".

فالتفت حوله العائلة لتطمئن عليه، وأخذ الجد مسعود يسأله قائلا: "تعالى اقترب دفـــئ يديك يا بني البرد قارس، وما هذه الخدوش في وجهك والكدمات، ماذا حصل لك يا بني؟"

لم يقو رشيد على الكلام وأحس بانقباض مفاجئ، جراء ما حدث لأولاده، وكانت تلك أول مرة يحس بهذا الإحساس، فطلب منهم أن يتريثوا قليلا بينما يرتاح ويضمد جروحه.

وكانت عينا الجدة علجية مصوبتين نحوه ، واقتربت في وجل، كأنه ضيف، أو طفل خجول وحضنته، ثم أجلسته بقربها، واقترب باقي أفراد العائلة منهما، وجلسوا بجنبهما.

وأخذت الجدة يديه بيديها، ثم مدت يديها ومسحت بهما وجهه...أمـــا زوجتـــه فـــرأت عينيه، قد سال منهما خيطان من الدمع...ورأت الخدوش، فسارعت إلى مسحها بخرقة مبللـــة،

ثم صعدت يدها لتفرك بعض الطين اليابس على شعره، وهي تبكي في صمت كالجدة وتأملت شعره، كان أشعث متسخا بالتراب، وتذكرت الأيام التي كان يقول بأنه خائف من أي هجوم على القرية.

ثم طلب الجد من البنتين الصلاة؛ لأنه حانت صلاة العشاء، وكان آنذاك في المسجد يؤذن الإمام للناس لصلاة العشاء وسط طلقات النيران، ليوقف صوته فجأة، إذ به يقتل على أيدي الجماعات ومن كان معه من الرجال المختبئين هناك فإنهم لم يسلموا هم الآخرون.

و ما إن انتهت البنتان من صلاتهما...حتى أخذتا تسأل عن إخوتهم، وما إن ارتاح قليلا حتى حاول التهرب من الجواب خاصة أن زوجته كانت هي أيضا ترى أن عياش سيرجع...، وما كان هنالك من سبب لاعتقاله أو بقائه وأخويه حول ما اتهموهم به...

حين بدأ اليأس لدى الأم لبنى من رجوعهم، يداخلها كما تدخل حبات الظلام ضوء المساء فتغبشه وأخذت حينها بالبكاء، فأجبر بقول الحقيقة، فتألمت كثيرا ولم تستطع الصراخ.

وأخذت تتحدث باكية بصوت منخفض، قالت :"ليتني قبّلتهم...أو ضممتهم...، ليتني قلت لهم كلمة يا أولادي، أو حضنتهم حضن الوداع الأخير، فغدا أشتاق إليهم....، ليالي الظلم أبعدتني عنهم."

وعلى الصعيد الآخر فقوات الدرك اضطرت إلى الانسحاب من الميدان لقوة وسيطرة الجماعات على المنطقة، بعدتهم وعددهم الذي مكنهم من القضاء على كثير من أفرادها، فهرب منهم من نجوا لجلب المساعدة تاركين سكان القرية يواجهون الموت.

بعد أن انقسمت الجماعات إلى مجموعات متفرقة، هاجمت كل منها أحد بيوت الجيران، حيث قامت المجموعة الأولى بذبح رب البيت الذي قاومهم على عدم أخذ بناته الأربعة ثم ذبحوا زوجته وطفليه اللذين يبلغان من العمر ٤ و٨ سنوات.

أما المجموعة الثانية فقد داهمت المنزل المجاور الذي يقطنه رب بيت نجا بنفسه فقامت بعد فراره بذبح أمه العجوز وأخذت زوجته وطفلتيه (١١ و٦ سنوات) وأخته وقتل أخيه.

بينما داهمت المجموعة الثالثة المنزل المجاور، وبعد فرار الأب أيضا، ذبح الأطفال الأربعة الصغار بينهم رضيعة لا تتجاوز ٩ أشهر، وأيضا الفتاة التي لم يتعدّ عمرها عشر سنوات، وعجوزا تناهز الثمانين من العمر.

وتعرض عامل ميكانيكي للتعذيب قبل ذبحه أمام أنظار زوجته، وأبنائه الصغار وأخيه الأصغر، ليفر هاربا بعد ذلك من سطح المنازل.

فالجماعات المسلحة التي كانت تتمركز في تلك المناطق، أعادت تنظيم صفوفها من جديد، لتبيد القرية بمناطقها كلها عن بكرة أبيها.

خيط الإبرة:"سمن الخياط"

ما إن خيم الصمت الرهيب على المنطقة الأولى، حتى ظنت العائلات أن الاشـــتباكات قد توقفت، لكنهم لم يدركوا أن الجماعات قامت بمداهمات ليلية لينفذوا مجزرتهم.

لقد استولت وسيطرت على المنطقة بأكملها، فأخذ أمير الجماعة بتوزيع المهام علـــى تابعيه، لتنفيذ جزء من المخطط الإجرامي، وبكلماته التي زادتهم حماسا:

"إن جماعتنا اليوم اجتمعت على نصر مبين، على هدى القرآن ومنهج الإسلام، لهداية عباد الرحمن، فسلام على من اتبع الهدى، فإننا مجاهدون في سبيل الله، الذين فضلهم من قبلنا وإننا بذلك عزة الإسلام والمسلمين، وما نترك الجهاد إلا ذلا في محاربـــة الكفـــرة والفـــساد، فهلموا إلى الجهاد".

وفي تلك الحالة من الغضب والهيجان البرنامج الجديد للجماعة انطلق بهجوم رهيـــب وعنيف ضد السكان المدنيين، بأرجلهم التي عاثت فسادا في الأرض وظهرت فيها، وضاعفت تصفياتها الواسعة للمدنيين فهم دائمًا رهن إشارة الأمير، للقيام بأية مهمة إدراكًا مـــنهم، بـــأن مصيرهم متعلق بمصيره!. وبمجرد أن يتورط الواحد منهم فـــي "قـــضية قـــذرة" (اغتيـــال، اختطاف، تعذيب...)، يصبح من المتعذر عليهم إن لم يكن من المستحيل الرجوع إلى الـــوراء خشية تصفيتهم الجسدية في رمشة عين، فهم من ذوي الأيدي الأكثر تلطخا بالدماء.

خاصة أنهم معزولون عن أي أخبار، من راديو أو جرائد.....الخ، و من يحوز على أية وسيلة من وسائل الاتصال، فإنه يحاكم بشدة لكي لا يثـــبط الآخـــرون ولا يـــنقص مـــن عزيمتهم، ويوحوا لهم أنهم هم الغالبون.

واستباحة كل شيء وفرض قانونهم الخاص، على المواطنين هو في نظرهم أفضل ما يقومون به.

وقاموا بابتزاز الأموال، نهب الممتلكات، والاغتيالات... والاغتصاب هـــو الأســـلوب ذاته.

وكان الأهم لدى الأمير، هو إيجاد أولئك المسئولين الذين ينفذون الأوامر بدون نقاش، ويبرهنون بذلك على ولائهم الأعمى "لخطته"، ولا يناقشوه فيها أبدًا حتى ولو كانت منافية لكل القيم والأخلاق.

و تقدموا بذلك مقتحمين المساكن بذبح الرجال، وقتـــل الأطفـــال والـــشيوخ وتعالـــت أصوات العويل والصراخ.

و كانت المناظر أبشع عندما جروا امرأة حاملا مريضة من فراشها إلى الساحة وقاموا بإخراج وليدها وقتلوه، وبعدها قتلوها أمام نظر النساء، وأيضا فإن أيديهم تعدت إلى أكثر مـــن

ذلك، لتمتد إلى فتاة صغيرة لا تكاد تبلغ سن السادسة عشر، لرفضها الصعود معهم محاولة المحافظة على شرفها، فقام أحدهم باغتصابها وإخراجها إلى الساحة ليحرقها، بعد أن سكب عليها الكحول لتحترق وهي حية، لتموت أمام أنظار النسوة والفتيات، اللاتي فزعن فزعا شديدا.

فبهذا الفعل لنا ذاكرة مع أصحاب الأخدود الذين أوقع بهم في النار حرقا الذي تكلم عنهم القرآن فسيبقى في كل زمان ومكان لأن التاريخ يعيد نفسه.

أما الزبير وخذير ولخضر، فقد كانوا التحقوا ضمن صفوف الجماعات وعاثوا في الأرض فسادا، بالنهب والسرقة والسلب، لكن ما إن قدموا على أهاليهم لقتلهم، نظر خذير إلى أخيه طويلا وطلب منه مرافقتهم في صفوفهم لكنه أبى ذلك، فلم يرحمه خذير وقطع رأسه بالساطور، أمام أعين أمه وأختيه اللاتي رفض فيما بعد أن تنقلهن الجماعات إلى الجبال.

ولخضر فقد قتل أباه رميا بالرصاص، عندما تهجم عليه ليقتله لأعماله الوحشية، فأمره الأمير أن لا رحمة أثناء الجهاد حتى من بني دمك، فاقترف بذلك ذنبا كبيرا على فعلته الشنيعة.

أما الزبير، فرفض أن يقتل أحدا من أهله ولكن سلب منهم الأموال، ومصوغات أمه وأخواته وسلاح أبيه، وكان أخويه قد هربا من المنزل، بعدما علما باختفائه خوفا من اعتقال الشرطة لهما من..

فما هذه القناعات وأي دين هذا ؟؟؟

أما الشيخ علاوة، أثناء صلاته جالسا لأنه لا يقوى على الوقوف طويلا، فاقتحموا الجماعات بيته وما إن هم بالسجود حتى تقدم منه أحدهم، وأجهز عليه بقطع رأسه على السجادة بالساطور.

و بالرغم من أن الشيخ علاوة كان يعلم بمجيئهم إلا أنه فضل الموت مصليا ساجدا لله تعالى، على أن يفكر بالنجاة أو الاختباء منهم، فرحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

– أما خالد الأبله المرح، الذي كان يضفي على المنطقة وسكانها جوا من الفرح والسرور، بتصرفاته العشوائية، قتل هو الآخر وكانت ظروف اغتياله لم توضح أبدا.

فبعض الروايات تقول أنه قتل من طرف مجموعة إسلامية أخرى، بعدة أسابيع قبل ذلك...)، لأنه وجدت جثته في الخلاء من القرية ببعد ١٠كلم تقريبا.

– الجماعات كانوا يعلمون عدد الدركيين والحرس، لا يفوق عددهم، أما الجيش الوطني لا يأتون إلى مكان الجريمة، إلا بعد ساعات من حدوثها؟!. خشية وقوعهم في كمين قد ينصب لهم، الذي كثيرا ما خدعوا بها.

ــ إنهم يعرفون مسبقاً أن عناصر الحرس البلدي "الشنابط" لا يتدخلون، إذا كان عددهم يفوقهم.

و لم يحن دور عائلة رشيد الذين كانون منشغلين بجروحه، ومعالجتها وأثناء ذلك أمر رشيد مرح بالنزول إلى قبو المنزل، لتجلب له سلاحه من هناك، فطلبت مرح من زميلها عصام القدوم معها لأنها خافت في بادئ الأمر، ولكنه فضل البقاء بقرب الأم لبنى، التي كان الجدين يواسينها وعفاف تهتم بأبيها من جهة.

ووقع المحظور وهجمت الجماعات على العائلة، فقد داهم سبعة من الجماعات البيت، ولكن عفاف حاولوا استدراجها إلى الخارج، ولكنها فلتت من أيدي الإرهابي لتتجه نحو الطاولة، وتغرس السكين في قلبها لتموت فورا.

أما رشيد فقد هرع إلى أحدهم يهم متألما بجروحه، بتخليص زوجته وقد التصقت به، ومنعوه وإذا به يُفاجأ بعرضه مرمياً تحت أحذيتهم، فأستل خنجراً هوى به بطعنة في صدره.

...وتعالى صراخ الجدين، ولكنه حين ازداد، قتلوهما ذبحا، لتقع الأم لبنى بسكتة قلبية على إثر ذلك.

أما عصام فقد اختبئ وراء إحدى الأريكات، فكشف أمره أحد الإرهابيين، حين هم بقتله تصدى له سلام كون الولد صغير لا ذنب له ليقتل، ولكن ضربه بالرصاص فأرداه قتيلا، و كان الله من فوق عرشه يرى المظلومين.

تأسف لذلك سلام، وبدت في عينيه أحزان، ورفض شديد لما يحدث، ثم تقدم بعد ذلك ليجمع الغنيمة، فأخذ يفكر شارد الذهن، حتى اقترب إليه واحد من الجماعة محدثا له:

"ما بالك لا تعمل، فيما تفكر، لا تقل لي بأن هؤلاء الكفرة قد سلبوا قلبك.؟؟"

فقال له: "أخبرني ما فعلناه، أنحن على صواب أم نحن في ضلالة؟؟؟ أنغيرهم بشهر السكين على رقابهم، وتوجيه السهام إلى قلوبهم على كبارهم وصغارهم، الذين لا ذنب لهم وهم خائفين يبكون..... "

فأجابه قائلا:

"ليست كل الدموع أحزان يا أخي، وإنما انتصارات وإنه يقتل بشبهة ويبعث بنية، فلا تقل لي إن قلبك قد رق حنينا لهم، وما نفعله ما هو إلا جهاد في سبيل الله، وإنه الأسلوب الوحيد الذي ينبه الغافل ويوقظ النائم، فمن كتم داءه قتله، يا أخي..."

وقف سلام حائرا لكل ما يحصل حوله، كأنه في عالم آخر في قانون الغاب المعروف بقضاء القوي على الضعيف، وأخذوا الباقين يجمعون الغنيمة، لتلك العائلات وأغراضهم الخاصة.

ثم انصرفوا مخلفين وراءهم أبشع المناظر، وأجمل وردة من ورود بلادي، وردة ذبلت من شدة حزنها، لمشاهدتها تلك المجزرة الرهيبة التي تقشعر لها الأبدان، وتعجز الأفواه عن وصفها:

مرح الصغيرة التي كانت الشاهدة لهذه المجزرة، فقد حماها الله بقدرته، أن تبقى في القبو بعد اقتحامهم المنزل، وإجهازهم على أفراده الواحد تلو الآخر، لترى هذه المشاهد الفظيعة من خلف الفتحة السحرية من داخل القبو، التي تطل على الصالون، فما إن سمعت صراخ أهلها وصياحهم، تطلعت على ذلك عبرها وشاهدت كل هذا.

وعند انصرافهم تهالكت من فوق الكرسي، ليسمع الوقعة فجأة أحد من الجماعة، آتية من الصالون ليصطحب سلام معه، ليستكشفوا المكان.

فطلب منه سلام أن يعود أدراجه، لأن جميع الأسرة قد قتلوا، ولم يبقى أحد آخر، ولكن الآخر أقنعه بأنه يوجد شخص آخر مختبئ.

و ما إن اقتربا من الصالون يبحثان ويستكشفان، حتى اتجه الإرهابي الأول من المكتبة ينظر إليها وما يحيط بها، فلو دفع بيده باب المكتبة لفتح فورا واكتشف أمر الصغيرة التي أنقذها الله، بعدما قامت بحبس أنفاسها للحظات وبدعائها المستمر بقوله تعالى: "وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا، فأغشيناهم فهم لا يبصرون" صدق الله العظيم.

وما أن اقترب من المكتبة، إذ فجأة تخرج بالقرب منها قطة صغيرة، أنقذت الموقف فيطلق عليها الرصاص لتموت هي الأخرى، وسلام كان قد عرف بأمر الباب الخلفي، ولكنه لم يخبر صديقه عن ذلك، قائلا في نفسه: "أيا كنت أيها المختبئ فاعلم بأنك في أمان الله ".

و كان قد عارض قتل القطة، فأجابه صديقه بغضب شديد: "ما بالك تشفق على هذا وذاك وحتى الحيوان".

فرد قائلا: "ها قد قلتها حتى الحيوان...."

فقاطعه قائلا: "اسمع يا سلام إن لي حديثا معك بعد استكمال جهادنا".

فحدث سلام نفسه قائلا:

"هيه جهاد أي جهاد هذا الذي ورطوني فيه، منذ أن انضممت إليهم، وهم يزرعون في فكري الجهاد الذي اعتقدت في بادئ الأمر ضد أعداء حقيقيين، وليس ضد أبرياء، ما عساي أن سألته فكيف له أن يرحم حيوانا، مادام لم يرحم إنسانا أو طفلا..."

ثم قال: "لقد أوقعت نفسي في ورطة، وسيخبر الأمير بذلك، فكيف لي أن أواجهه، أعارض أم أستمر في اللعبة القذرة...."

و رفع يديه إلى السماء يدعوا الله عز وجل:

"يا ربي إني أشكوك ضعف قوتي، و قلة حيلتي وهواني على الناس، أنت ربـــي ورب المستضعفين إلى من تكلني، إلى عدو يتجهمني، أو إلى قوي ملكته أمري ، فإن لم يكـــن بـــك علي غضب فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي، و أعوذ بنور وجهك الذي أشـــرقت لـــه الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ولك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بـــك" وأثناء طريقه متجها إلى مجزرة أخرى، أخذ يردد عبارات المناجاة:

"اللهم امنحني القوة على تغيير ما أستطيع تغييره وامنحني الـــصبر لأحتمـــل مـــا لا أستطيع تغييره وامنحني الحكمة لكي أدرك الفرق.

أما الأمير فقد أمر عشرة من رجاله، لاقتياد النساء إلى أوكارهم إلى غاية استكمالهم مجازرهم ضد الأبرياء.

المجزرة في المنطقة الثالثة

امتدت أيديهم هناك، فأجهزوا على الضباط الدركيين والحركيين، وما إن دخلوا على أحد المنازل وقاموا بذبح زوج امرأة عجوز أمام عينيها، حتى طلبت منهم وترجتهم، أن يتركوها تعيش بشرط دلهم على مكان آخر، يجدون فيه كل ما يحتاجون من نقود ومصوغات، فدلتهم على عرس وبعد تشاورهم عزموا على قتلها ولكن سلام تصدى لذلك، مدعيا أنه ليس من فائدة في قتل عجوز في الرابعة والثمانين من العمر.

أدرك سلام موقف هذه العجوز التي كان الخوف يقبع في قلبها، من موت مخيف، أدرك وأحس ألمها، أدرك جيدا دوافعها وأسبابها، في دلهم على مكان آخر، كانت مرغمة بالبوح عليه، لتنجد نفسها وباقي أهلها خاصة أحفادها الصغار.

ثم انصرفوا إلى العرس فرحين بما قد يجنونه، وتوجهوا أين كانت أصوات الغناء، والزغاريد الجزائرية تغمر الحاضرين بكل فرح وسعادة، فكانت أميرة العرائس زهرة وأي زهرة كانت.

زهرة أخرى من زهور بلادي، تتألق في يوم زفافها بجمالها وبفستانها الأبيض، الذي زادها بهاء، و الابتسامة على شفتيها لا تفارقها، وسط مجموعة هائلة من الفتيات والنسوة الجميلات، اللاتي كن يتمتعن بالرقصات الجزائرية، على مختلف أنغام وطبوع بلادي.

فكانوا يعيشون تقاليد عرس جزائري رائع، والعريس مبتهج أمام أصدقائه بحفلة فرحه وبزواجه من أميرة الأميرات، لتتوحل تلك الرقصات وتلك الزغاريد، و الألبسة الباهية، و تلك المساحة الرائعة من الفرح، إلى مساحة الخوف والهلع والرعب.

من مساحة الرقصات والزغاريد، إلى مساحة الارتجاف والبكاء، إلى مساحة مليئة بالدماء، عندما شنت الجماعات هجوما مباغتا، على حين غفلة أهلها بعنف دموي، ليقتسموا الغنيمة الكبيرة، من نساء وأموال و..... ويقتلوا البقية من الرجال، وخاصة الأطفال الصغار بدون رحمة أو شفقة.

نثرت أزهار الفرح في الساحة، وسط الدماء الطاهرة، لتبقى زهرة بين صراخ وبكاء وأنين، لما فعلوه بزوجها بعد، أن قطعوا رأسه بالساطور ووضعوه فوق فستانها الأبيض.

لتكون بذلك الفريسة الأولى، التي حاول كل واحد منهم أخذها لنفسه، خاصة أنها الأجمل، حتى قدم الأمير وطلبها لنفسه، فأصبحت باقي النسوة والفتيات، فرائس وسبايا للمجرمين..

وقد خيم الحزن على احتفالات العرس، ولم يحرك ساكنا سلام إزاء هذا، فبقي بعيدا عن قضية الفتيات، ولم يشغل نفسه سوى بجمع الغنيمة ليزداد ألمه أكثر مما حدث، فأخذ بجمع الأغطية والمواد الغذائية و.....الخ وهو يقول في نفسه:

"والله إن هذا ما هو سوى محاولة بائسة، للإيحاء بأن هؤلاء يزرعون الخير، وينقذون الأمة من الكفر، حتى إنهم جياع قادمون من الجبل للقتل وأخذ المؤونة.....ويقومون بالاختطاف، لبنات ونسوة عفيفات كن في رقاب رجالهن وإخوانهن وآبائهن، والله ما رضيت لأختي ذلك، حتى أرضاه لهن، ثم يطالبونني ويهددوني في مشاركتهم في إجرامهم...والله لو لم تكن أختي عثرة في طريقي لهربت لأبلغ عنهم.....آآآآآآآآآآآآآه يا رب ماذا أفعل..... !"؟

و المفاجئة أن من كانت بين الفتيات سميحة الطبيبة، المعالجة في مستوصف القرية، المعزومة في العرس، الخالة كانت مخطوبة للضابط الدركي حكيم، الذي كان موعد زفافهما خلال أسبوع فقط.

نهبت الجماعات ما شاءت من البيوت والممتلكات، وجمعوا غنيمتهم من سلب حقوق هؤلاء الأبرياء، ثم أحرقوا وسبّوا ما استطاعوا إليه سبيلاً، من النساء والفتيات ، ثم انصرفوا في هدوء.

أما مرح فقد خرجت من القبو على مناداة أبيها، الذي ظل يصارع الموت طالبًا منها اللجوء إلى صديقه محسن في المدينة، والهرب من هذه المنطقة ولم يكمل حديثه حتى لفظ أنفاسه الأخيرة، بين ذراعي ابنته الصغيرة.

فخرجت مرح من هناك، ليس في يديها سوى دميتها وألبوم صور العائلة، التي قررت أخذه لما فيه من ذكريات، لأقاربها وعائلتها وأصدقاء طفولتها، التي ستدق في ذاكرة النسيان.

راحت وسط الجثث المتناثرة في الأحياء، ووسط الصمت الرهيب والظلام الحالك، تضرب في الطرقات على غير هدى، و نظرات الذعر والارتياب ارتسمت في عيونها.

فأخذت بالالتفاف يمينا وشمالا، و قضت وقتا طويلا في السير على أقدامها، فنسيت تعبها لأن الحزن ينسي التعب، ، فكانت جاهدة في الابتعاد عن مكان المجزرة الرهيبة من جهة، والكلاب تطاردها من جهة أخرى، فنباح الكلاب حينها كان شديدا يثير نباح كلاب القرية كلهم، و الليلة ليلة قارسة البرودة.

و ما إن ابتعدت الكلاب عنها، ولبثت أن شعرت بوطأة الجوع، ورأت الظلام الحالك يحيط بها، حتى أدارت بصرها في البحث عن مكان تلجا إليه.عندما اقتربت من المنطقة الرابعة، التي تقطن فيها عمتها أمال وسارة طرقت الباب، ولم تجد أحدا وفجأة رأت أحد المصابيح مضيئا، من أحد المنازل فقصدت إليه، فوجدته فناء ضيق.

و تسللت إليه، بعد أن تشجعت في ظل خوفها في فتح بابه الصغير، ومـــا إن دخلـــت مدت قدميها المتورمتين، من تأثير التعب للمسافة الطويلة التي قطعتها مشيا على أقدامها.

فنامت على المقعد الخشبي وأغفت عينيها، بعد أن هد قواهـــا اليـــأس والحـــزن، وإذ خطوات تقترب شيئا فشيئا، واتجهت إليها أيدي خشنة سوداء اللون، وحملتهـــا برفـــق داخـــل المنزل، ووضعتها في غرفة دافئة.

و بعدها أعد الطعام، المتكون من الحساء والجبن والخبز، وقليل من التـــين وجلـــس بجنب الفتاة رجل متوسط القامة، يرتدي ثوبا بني اللون (جلابية)، وقبعته عريـــضة تخفـــي نصف وجهه، الذي لفحته أشعة الشمس من شدة عمله اليومي في البساتين والحقول.

و قد أمسك بيده بندقيته وكان ضعيفا منهك القوى، والغبار يعلو ثيابه البسيطة، والعرق يتصبب على وجهه، وبمقربة منه تجلس امرأة عجوز صعبة المراس، بها شامات متعددة فـــي وجهها، منظرها يدل على قبحها وجبروتها.

كانا يتأملاها منكسران محبطان... الفتاة تتوسد ذراعها المبللة بدموعها تحت خـــدها، وجسمها شديد البرودة، لأنه كان قابع مدة طويلة في البرد تحت الظلام.

تأملاها بشفقة وحنان، ولم يحولا بصرهما عنها، وأحاط بهما ألم عليها، من كل جانب لمعرفة ما جرى للفتاة...؟؟؟

في تلك الأثناء شعرت مرح بالدفء، ورائحة الطعام الشهية المنبعثة، فأخذت بفـــتح عينها فنظرت إلى العجوزين، نظرة ذعر وخوف شديد، حتى انهمرت دموعها في صمت على خديها.

وكان الرجل العجوز ينظر إليها بصمت، وكان لا يزال حاملا بندقيته وعلـــى وجهـــه بادية علامات التعب والسأم، وفي عينيه نظرة صارمة شرسة، فارتجف جسم مرح ولم تقـــو على الصياح، أو الكلام لشدة صدمتها من المجزرة.

فشل الذعر حركتها لحظة، لكنها ما لبثت أن نظر إليها الرجـــل العجـــوز، و ابتـــسم ابتسامة أذابت الخوف من قلبها، و أعادت الدم إلى ركبتيها، ومسح الدمعة التي نزلـــت علـــى خده وتنهد:"أاااااااااه، ....."

ثم وضعت المرأة العجوز يديها على الفتاة، ونظرت إليها نظرة شفقة،

و تأسف، واقتربت الصغيرة منها، فأخذتها إليها وضمت وجهها الصغير إلى صدرها، الذي تملأه الأحزان والآلام.

لتعطيها قليلا من الحنان، تخرجها به من جليد المجزرة المريرة، وكانت البنـــت فـــي حضن المرأة العجوز كعصفورة مبللة...

أسند الرجل العجوز يده على بندقيته، وابتسم لها بسمة هادئة بريئة، فطرفت عيناها بهدوء، ورأت في وجهه الوداعة وقال مخاطبا:

"لا تخافي يا ابنتي أنا العم مجيد، و هذه العمة حليمة، إننا جيران عمتك أمال وسارة، هذا البيت ليس بيتي، و لكنه بيت الله، و هذا الباب لا يسأل الداخل عن اسمه، و إنما يسأله عن همومه ومتاعبه، فهذا بيت كل من يحتاج ملجأ، اعتبريه بيتك يا ابنتي... "

اطمئن قلب مرح للعجوزين، لما لقيت عندهم حسن استقبال وطيبة، و روت لهما قصتها المأثرة، مما زادت تأثيرا عليهما، فقررا أن يقدما لها يد المساعدة، في اللجوء إلى محسن صديق أباها، الذي وعدته بالنزول عنده.

دامت المذبحة أكثر من ساعتين في المناطق، كانت تكفي لوصول قوافل الإنقاذ من بلد آخر، لكن أين كانت الدولة؟ أين كان الجيش؟ أين كانت المليشيات الحكومية؟ أين "الوطنيون"؟

أين الحرس البلدي؟ أين القوانين التي تنص على أن من حق المواطنين على الدولة أن توفر لهم الحماية؟ لم يظهر أثر أحد إلا في اليوم الموالي.

الرجل المستتر

و في تلك الليلة ما أن عادت إلى النوم، حتى تراءى لها لأول مرة في حياتها، رجلا في المنام يكاد يظهر من بعيد، لا ترى وجهه بالتدقيق وإنما نور يضيئه، مرتديا لباسا أبيضا ناصعا.

و كان ما هو بالرجل الطويل ولا بالقصير، عندما سألته عن من يكون، أخبرها بأنه رجل بعيد، يراقب أحوال البلاد والعباد، بالرغم من بعده إلا أنه يعي ما يجري للأبرياء، وأنه يتأسف لذلك كثيرا، و يعزم القدوم لتخليصهم من محنتهم، و من شر الحاقدين وأعمالهم الإجرامية.

فسألته لم لا يكون قريبا، و يأتي مادام باستطاعته تخليص هؤلاء الأبرياء، من الظلم والإبادة.

فأخبرها بأنه لا يستطيع الآن، و لكنه وعدها بأن قدومه قريب ولن يأتي، إلا وفي يديه سلاح أقوى من سلاح هؤلاء الأباطشة، ليكسر شوكتهم وعمودهم الفقري، حتى لا يقووا على الوقوف ثانية ضد الآمنين وطرحت مرح سؤال عليه قائلة:

"لو أننا تركنا ديننا واتبعنا دينهم، هل كانوا يحاربوننا ويقتلوننا ويشردوننا؟ فلقد استغلّوا ضعفنا، وأخذوا منا أمام أعيننا أعزّ أقاربنا ما نملك..."

وكان الرجل ينظر إليها، والأحزان تحاصر قلبه، من كل مكان...، كان بها أينما تلفَّتَ...، كان يشعر بأن الحياة قد انتهت، ولم يعد له ما يستطيع أن يراها به، على غير صورتها الحزينة المطبقة على صدره بشدة.

لقد استحال عليه أن يرى ليلاً سرمدياً، تنتحر فيه كل أحلام البراءة، والأطفال الصغار، فكيف يمكن له أن يعيش بعيد عن أمته وباستطاعته مدها بالكثير...؟!

و كيف لهذه الفتاة الصغيرة أن تعيش بدون أمها...بدون أبيها؟!...بدون إخوتها؟...! ثم نظر إليها مطولا وقال:

"لا يا ابنتي... لا تتبعي أهواء قوم قد ضلوا من قبل، وحادوا عن سواء السبيل فلعنوا، فإذا تركنا عقيدتنا صرنا منهم، إنهم يزيفون الإسلام، إن تاريخ أمتي مرير ومليء بالأحزان فزادت هذه إلى الأخرى، فإياك أن تخطر ببالك تلك الأفكار، وتبتعدين عن الحق.

ثم سألته لما لا يأتي إلى تخليص الأبرياء من الفتنة الكبرى، مادام في قدرته مساعدتهم في محنتهم.

رد الرجل المستتر قائلا:

سفينتي لا تـــزال عبـــر الحيـــــاة تطـــوف بـــي
بعيـــدة عـــن أحبـــابي وخلانـــي وأبنـــاء وطنـــي
وكتـــــــــــاب ربـــــي مرشـــــد لـــــسفينتي
فمتـــــى توقفـــــت الريـــــاح التـــــي تبعـــــدني
لقـــــدمت وفـــــي يـــــدي ســـــيفي وســـــلاحي
و ما أكون إلا الجبان إن تـــركتهم وتخليـــت عنـــك
فـــــإن دمهـــــم يـــــسري فـــــي دم عروقـــــي
وهمهـــم وحـــزنهم مـــا يزيـــد إلا مـــن عـــذابي
أنـــا إن رضـــيت الـــذل لهـــم أقتـــل عزتـــــي
أنـــــا مـــــسلم أهـــــوى الـــــصبر فاصـــــبري
أدعـــــو إلهـــــــي أن تحـــــق عزيمتـــــي
فـــــإلى الـــــسلام والأمـــــان تـــــصل غـــــايتي
تـــــــسكن مـــــــن ظلمـــــــات بـــــــلادي
و بكيـــــــت حزنـــــــا ملـــــــيء عيـــــــوني
و مـــــن الظلـــــم والحقـــــد ســـــأخرج أمتـــــي
لا تخافي يا ابنتـــي...لا تخـــافي يـــا ابنتـــي.....

ثم انصرف وأخذت تنادي عليه وسط الظلام الحالك، بعد أن أناره بظهوره المفاجئ:

"....أيها الرجل الغريب، لا تذهب لا تتركنـــي.، أيهـــا الرجـــل الأبـــيض.....أيـــن أنت.....لا ترحل....إني أحتاجك....."

ثم أفاقت من نومها فزعة باكية، ولم تتوقف رؤيتها لهذا الرجل المستتر، وإنما تكررت رؤيته في أحلامها الكثيرة، في كل مرة يأتي يوجهها ويطمئنها في مجيئـــه، لإصـــلاح أمـــور البلاد.

الصدمة

في الصبيحة الموجعة، وجد ناجون من المذبحة في القرية، الذين نقلوا للعلاج السريع، و شيّع عشرات الضحايا في تلك القبور، بطريقة افتقرت إلى الكثير من الإنسانية.

فاستيقظت المناطق على صور الدمار، والنار والجثث وصوت التكبير وصرخات الأهالي، و اصطفاف سيارات الحماية المدنية وأفراد الجيش والدرك الوطني هناك.

فعندما يتعلق الأمر بالتصفيات الجسدية، وبحفر القبور الجماعية يصبح الأمر خطيرا على البلاد، وعلى البشرية وجاء موت الكثيرين في كثير من الأحيان، بعد التعرض للتعذيب الذي قد يكون السبب المباشر للوفاة فكانوا ينتقمون بصورة تعسفية، من أسر أو مجتمعات محلية، أو يطلقون النار على حشود من المدنيين.

كما عانت آلاف من الأسر الأخرى من قتل أفرادها، على يدي جماعة مسلحة، سواء بصورة فردية أو في إطار مذبحة، وكانت شخصيات مرتكبي الجريمة معروفةً لأسر الضحايا في بعض الأحيان، لكنها لم تتمكن من الحصول على أية معلومات تتعلق بالتحقيقات، التي قد تكون أُجريت وكم من مذبحة جماعية بحق المدنيين تظل غامضة وبدون عقاب.

ابتُلِيَت الجزائر بمشكلة حالات "الاختفاء"على مدى فترة تزيد عن سبع سنوات.

كما أثارت منظمة العفو الدولية مع السلطات، حالات مئات المعتقلين الذين قالوا إنهم عُذبوا إلا إنه لم يتم، على حد علم منظمة العفو الدولية، إجراء تحقيق قضائي واحد حتى في الحالات التي مَثَل فيها المعتقلون أمام السلطات القضائية وبهم علامات واضحة للتعذيب، وعن جرائم متنوعة مثل تهديد أشخاص بالقتل، والاحتجاز التعسفي، والتعذيب والمعاملة السيئة للمحتجزين، وعن جرائم الجماعات المسلحة أيضا، لما مارسته ضد الأبرياء من النساء والأطفال والشيوخ.

وكانت فرصة أخيرة لمرح في توديع أهلها إلى الأبد، قبل رحيلها من هناك وقد شوهدت هناك لآخر مرة بجنب الشيخ يسيران جنبا بجنب في الطريق المؤدية إلى المدينة، و قد أأمسك بيدها الشيخ، و هي من الجهة الأخرى أمسكت دميتها الملطخة بالدماء وألبوم الصور.

أما سارة وأمال، اللتين حالفهما الحظ في بادئ الأمر، بنزولهما إلى المدينة لعلاج سارة هناك، عند أحد الأقارب لم يدم طويلا، إذ أنه في طريق الرحلة، وقعت الحافلة بمن فيها رهينة الجماعات التابعة، للفرقة ١ ليجبروهم على النزول من الحافلة.

و أخذوهم إلى مكان مهجور، لا ترى فيه العين غير أفنان الأشجار، و الأعشاب، وليس من صوت سوى تغاريد العصافير، والطريق الضيق المؤدي إلى القرية ، ليأمر أحد من الإرهابيين بقتل الرجال، فخيرهم إن كانوا يفضلون الموت بجز أعناقهم من الأمام أو الخلف ؟؟؟؟

و خطفوا النساء كسبايا لهم، وكانت النسوة يبكين من هذه المناظر خاصة عندما نودي بجزار الإسلام، الضخم المخيف بمنظره، القبيح الذي أجهز على الرجال ذبحا كالخرفان.

ظلت سارة ترتجف خوفا، و تصرخ وتبدي بيديها علامات معارضة، لهذا العمل الإجرامي، تلوح بكلتا يديها، فاقترب ب منها أحد من الجماعات،

وشدها من شعرها، و هددها بالصمت، إلى الأبد ويفعل بها مثل هؤلاء.

وما إن رأت أمال ذلك حتى تهجمت عليه، وأحدثت بوجهه خدوشات للمسه لأختها، مما أجربه على استدراجها إلى مكان اغتصبها فيه وقتلها هناك.

أما أكرم وزوجته فبهروبهما من القرية متجهين إلى المدينة، لم يسلموا عندما لجئوا إلى أحد الأقارب، التي كان رب أسرتها من الجماعات، الذي هددهم بوضع قنبلة تستهدف محطة مسافرين، ليرفضوا ذلك فلقوا حتفهم هناك في ظروف غامضة.

أما كمال وأبناؤه، فبعد أن مدهم الله بطول العمر ليسلموا من المجزرة، إذ تصاب العائلة بصدمة تورط ابنهم الأكبر صابر، في صفوف الجماعات، بعد الضغوطات التي عاشها من جراء الفقر، و حالات البؤس والشقاء، بحثا عن الخلاص منها، فلم يجد البديل للخلاص من معاناته إلا طريق الجماعات.

ليقتل بذلك زوج أخته، الذي كان فردا من أفراد الأمن، فعلق له رأسه في شجرة، وسط ساحة القرية.

بعد أن قام بإرسال الكفن لأخته، التي رملها وأبنائها، الذين يتمهم وهم صغار، فاضطرت الأم إلى اللحاق في صف ابنها مع الجماعات، ليتصدى الأب كمال وأبنائه لأعمالهم بحمل السلاح، ومواجهتهم، فاجتمع الجيران ممن بقوا على قيد الحياة ولم يجدوا مأوى يهربون إليه، لمواجهة الأعداء ولحماية أملاكهم وأطفالهم خاصة، عندما أثار حماسهم الأب كمال، الذي رأوه يتصدى لفلذة كبده وزوجة عمره.

أما باديس: الشاب الذي كان يكسب قوته من السرقة ، و يمتاز بالدناءة والاحتيال، في سبيل كسب المال فحاول بعد ذلك، إعادة بناء حياته على أساس شريف وإنساني، رافعا الظلم عن الأبرياء، ومتصديا للظالمين.

فتاب واستقام، فأتى رفاقه لحثه على الانخراط في الجماعات، لكنه أبى ذلك.

وبمرور أيام فقط على تلك الحوادث، وبمجرد خروجه من باب منزله، اختطفته عناصر من الجماعات.

ولقد قاموا قبل ذلك بالاتصال به لثلاث مرات متتالية، يوم ٥ و٩ و١٤. ليقترحوا عليه الالتحاق بالمقاومة الإسلامية المزعومة، وقد اندهش عندما ذكروا له ذلك، أنه سيحصل في المقابل على مال وأنه لا ينشغل بأي أمر ولكي يقوم هذا "بمهمته "على أحسن ما يرام.

فقد وقع التفكير مسبقا في اختطافه وحجزه كرهينة لديهم، وأن هذه الفرصة ستكون فرصته الأخيرة لإنقاذ حياته، وأنه في حالة رفضه سيكون مصيره قد حسم سلفا!فشعار "سِرْ أو مُت"، كان شعارهم الدائم.

وفي الحقيقة كان يحاول البحث، عن طريقة للتخلص من هذا الكابوس وفي حدود الساعة الثانية عشرة، تقدم للخروج من المنزل وقد ملأه الخوف لحظتها، وهو في تلك الحالة من الشعور الممزوج بين الخوف والاشمئزاز، رأى رجالا، واحد منهم بدينا، و الثلاثة ملثمين، مرتديين قشابية (جلابية)، وبعد ثوان دخل إلى المنزل مذعورا، و حاولوا الرجال أن يكسروا مقبض الباب.

ثم حل السكون ونادى من بالباب ؟؟؟، ولما رأى أن لا أحد يرد، نزل بكل هدوء، وما إن هم بالخروج تم اختطافه، من طرف أصدقائه المقربين إليه ولم يعلم أي أخبار عنه بعد ذلك.

خطط المجرمين

كانت الجماعات تقوم بالخطط اليومية، لاستهداف مواقع أخرى، كانوا يقيمون الخطط في أوكارهم الوحشية، أين يتلقون التعليمات والتوجيهات والدعوات المستمرة، من علماء وأئمة من الخارج، بفتواهم الزائفة التي ظللت الشباب تحت لواء الإسلام والدين، وبعنوانين وشعارات دينية:

"بأن الموت في سبيل الله من أسمى المعاني في الدنيا والآخرة التي تقربه من الجنات ".

و منذ ذلك الحين بدأ مسلسل التوتر والعنف، الذي توفرت له ظروف عدة ليشتدد ويستفحل، أبرياء لا تعد ولا تحصى.

فكانت ترى كل هذا بمنظار البطولة، و الرجولة والنصر، في جهادهم المزعوم، ولاسيما عندما يتحصلون على فتيات عفيفات، فيعتبرونهن هدية من الله ليغتصبونهن ويستحلوا أعراضهن، على غير شرع الله ولا بسنة نبيه الكريم، فحللوا ذلك على منهج ديني واتبعوه في ذلك.

و قد جاء على لسان أمراء عدة للجماعات الضالة، من فتاوى تأتيهم من دول أجنبية الآتي:

"باسم الله وباسم الدين، إن الشعب الجزائري مرتد مداهن لحكومة ونظام

و شعب كافر، وعلى ذلك فإنه تطبق عليه أحكام الردة، من قتل وسبي، و خطف واغتصاب، وترويع فأعراضهم وأموالهم ونفوسهم حلال، فإنه مجرد عقاب ليعودوا عن كفرهم، وردتهم للإسلام الحنيف لننصره بأي وسيلة، لتعيش أمة العباد والبلاد تحت دين مستقيم، لقوله تعالى:"قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين"

و لكنهم لم يدركوا ا أن هذا النص، من غير المعقول أن فتواه جاءت ضمن كلمة تحميسية ضد المؤمنين، فالجهاد عند المسلمين ضد الكفار، وليس جهاد المسلمين للمسلمين الآخرين، شفاية لصدورهم فإنه التطرف بعينه.....!!!!

وخُطِفَ عشرات من المراهقات، والنساء البالغات في تلك الهجمات؛ ووفقاً لشهادة نساء نجون من الأسر بعد خطفهن بالهرب، فقد عُوملت بعض المختطفات معاملة الإماء وتعرضن للاغتصاب وبعض منهن أُعدِمنَ في وقت لاحق.

و نظمت جماعات القوة والقتال، و جماعات الدعوة والاغتصاب، و تعددت صور الظلم والإجحاف للحقوق، التي لا يجب أن تحجب عن الفكر النير، في أن نرى كيف تتصاده أبريائنا، في كثير من الحالات التي تعرضت فيها أسر أو قرى للذبح دون تمييز، أو أسواق ومحطات....، من دوي الانفجارات في كل مكان.

حياة السبي

و تستر حياة جديدة، بعد أن أزالت أحلام وأوهام، وتلاشت واضمحلت من عهد السلام والحرية، إلى عهد جديد فيه عبودية، واغتصاب وسبي، لأعراض فتيات نزيهات، بأن يعــشن مأساة تحت رحمة الجماعات.

و أتت المصادفة من نوع تلك المصادفات الخفية، التي تسوقها الأقدار، فـــي الوقــت المناسب، لتخلق بها جو المآسي في هذه الحياة، لتلتقي سارة بسميحة وزهرة، اللاتي لم يسلمن من الاغتصاب والاعتداء عليهن، ليبقين تحت رحمتهم كجاريات وسبايا ومعينات لهم.

جلست سارة، الفتاة المملوءة بالبراءة، التي ارتسمت في عينيها نظرة ثابتة، يخالطهــا ذعر لا يوصف، لما مورس ضدها، مما جعل سميحة وزهرة تخططان الهرب بــأي طريقــة كانت، ليخلصوا أنفسهن وسارة الخرساء من قبضة الوحوش.

فكان سلام من بين المعارضين لكل هذا، وكان في حالة يعجز فيها كل مرة عن تقديم العواطف المتباينة، التي قصفت في أعماقه محاولا صم أذنيه، عن الكلمات وصرخات النسوة، اللاتي يعذبن وظلت تدوي في أذنيه كالرعد، وصورة الأطفال في عينيه، بنورها الذي شق في ظلمات نفسه، كوميض البرق في الليلة الحالكة، كان كيانه اهتز هزا عنيفا، كلما تذكر هذا.

فجلس في أحد المرات على تلة جبل يتأمل السماء ويفكر ليقترب منه الأمير ويــضع يده عليه، ليفاجئه بمجيئه فنظر إليه حائرا لما يفكر فيه سلام، و ما يشغل باله فسأله عن صحة هذه الأعمال، مما جعلت الشكوك تنصب نحوه، من الأمير الذي حاول بأن لا يدع ثغرة تعيــد نفسيته، إلى الحق بأن يزرع في أفكاره مناهج مظللة.

فتكلم الأمير قائلا:

"اسمع يا سلام لم تعجبني هذه المرة، و لم تبد جرأتك، لقد اخبرني أخاك عن ما قمت به في العملية السابقة، و لكني تركت تعيد جمع أفكارك لتبين وحدك طريق الصواب، وأعلــم بأنك منظم جديد إلينا، و لكن ما أخذناك إلى عين المكان إلا لتتعلم، فموضوع جمع الغنيمة أمر بسيط سهل، لذلك يتوجب عليك التدريب على القتال ومواجهة الخصوم، فيجب أن تتعلم كيــف تعالج وتغير إخوتك "

فقال سلام: "أغيرهم بالسكين وذبح أطفالهم...."

رد الأمير:

"أنا كنت واحدا من الكفرة، و قد عصمني الله منهم، بخروجي إلى نوره، والى يقين من الظلام وبداية التكفير، إلى رحاب العمل الإسلامي الفعال الصحيح، فأبشر فإن الجنة مأوانا، إن غيرنا يوما إخوتنا وأمتنا، من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام "

و ما أن انصرف حتى أخذ سلام يتأمله، غير مقتنع بكلامه البذيء، فمكث في صراع طويل بين قرارة نفسه، و اشمئزازه لمناظر الإجرام من جهة.

تمنى أن يكون واحدا من منقذي النسوة، اللاتي يخرجن كل ليلة بعد منتصف الليل إلى حصص العذاب، والاغتصاب المنتظمة لهن، ..... بأبشع الطرق، لكنه ما أن تعرض عليه فتاة، كان من أنبل الرجال، لا يقترب منها بل يبقيها عنده آمنة إلى حين حلول الصباح.

ليس في اليد حيلة

لم يكن في استطاعة سلام أن يفسر الجريمة، التي ارتكبوها الشياطين الخبيثة القابعة في أركان أنفسهم، المظلمة الشريرة، فاستيقظ ضميره لهذه الفعلة الوحشية الأثيمة، وصرخ ألما وفزعا داخل نفسه.

وظهر في ذهنه من السحب المظلمة التي تخيم عليه من صور متعددة، بعد أن هداه الله إلى الحق عندما رفع يديه، يناجيه في بيان الطريق الصحيح له، فاستعرض في هدوء غلطته، وغلطة رفاقه وأخذ يخطط لتخليص النسوة من هناك وتهريبهن، و رفع يديه إلى السماء يدعو الله تعالى قائلا:

اللهم إني أشهدك بذنوبي وأنت تعلمها ، وأشهدك بزلاتي وأنت تسترها، أنا عبدك المذنب العاصي أقر

بذنوبي على رؤوس الأشهاد، فأعني على التوبة واقبلها، خالصة لوجهك الكريم.

صدق الله لقوله تعالى:**(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ)**

وفي هذا الصدد أريد أن أشير إلى نقطة مهمة أأن الله تعالى يغفر الذنوب مهما كان حجمها، لو تقدم المذنب تائبا عن كل ما فعله، معترفا بذنوبه، رافعا يديه بدعائه الخالص لله وحده، أن يرحمه ويغفر له فما بال بني آدم لا يعفوا عن أخاه، إن أخطأ مرة في حقه، فالتسامح والعفو من أكبر الشيم والصفات الحسنة، والخصال الحميدة التي يمتاز بها المسلم.

أحمرة تقودهم أسود:

على عكس مقولة المؤرخ البريطاني:"أسود تقودهم أحمـــرة"، هكـــذا حالـــة هـــؤلاء الجماعات تلك، التي سيرتهم أيادي خارج البلاد من أمريكا وفرنسا.....و غيرها.

فهذا لا يخفى أن للأجانب يدا في الأزمة ، إلى أن يتقاتل بني الجلـــدة فيمـــا بيـــنهم، بمساعدة ممن شاركوا في محاولة تهديم البلاد، ليصلوا إلى مآربهم بخلق هذا المشكل الخطير، الذي ألمت به الوطن من كل جوانبه الاقتصادية الاجتماعية والسياسية والثقافية...و غيرها.

وتستعمل في ذلك إمكانيات الدولة ومواردها من أجل زرع الفتنة، وادعائهـــا بجلـــب الديمقراطية المغشوشة للجزائريين بصفة خاصة، وإلى العرب والمسلمين بصفة عامة.

فإن للقوى الأجنبية يدا في تحريك المشكل من أساسه، خاصة عندما قدمت الإعانـــات المختلفة لتربية أشبال اللبؤة، وصغار العقارب التي ضنت أنها ستبقى صغيرة إلى الأبد ولـــن تنمو، ولكنها سرعان ما لدغتها هي الأخرى.

ماذا كان مصير "الأمير؟؟

اختلطت الأمور على الجماعة، ليخلط سلام والأمير وبين وجماعته التي تابت، وبماذا نفسر القرار السريع الذي اتخذه سلام، مع العلم بوجود خلافات عميقة فيما بينهم، وبأنه من الصعب حدوث إجماع بينهم وبين الأمير، بسبب أسلوبه الوحشي الذي يستهدف السكان المدنيين والأجانب وأعضاء الأمن بدون تمييز.

وبين عشية وضحاها؟ الأمير، هو الذي ارتبك واختلطت عليه الأمور في تلاعباته؟

و لم يفهم ما يقوم به سلام والبعض منهم، وأنه بهذا الفعل القذر يكون الأمير أو تابعيه الآخرون، قد ضيعوا هذا الدعم المزعوم، من فقد رجال آخرون في صفوفهم خاصة أنهم كانوا من بين الرجال الأذكياء، و الشجعان في القتال، وفي وضع الخطط، فقد كانوا من بين الخمسة الذين يعتمد عليهم كذراع للأمير اليمنى في كل شيء.

فإنهم كانوا يقيمون علاقات خاصة معه، يسيرون يدا في يد، في هذه العملية التي كانت ذات هدف.

فالهدف بطبيعة الحال، كان يتمثل بالدرجة الأولى، في القضاء على الأبرياء فكانوا هم الذين لعبوا دورا مهما، في تكوين النواة الأولى للجماعة الفرقة ١

حفيظ:هو الذي أوكل إليه هذه الوظيفة، وقام بأولى خطواته الجهادية، و كون مشروع معسكر للتدريب.

و هناك عبد القادر ورحيم وسليم لعبوا دورا هاما، ليعملوا كموظفين في المسجد لجلب الشباب إلى صفوفهم، بزعم ووهم لهم أنهم المجاهدين الذين سيبعثون إلى الأماكن الساخنة في العالم (مثل، الشيشان، البوسنة، كوسوفو...) بتبليغ التعليمات من الأمير، الذي جند في منظمته العديد من الشبان الجزائريين وكان يتم في هذا المسجد جمع الأموال وتجنيد العناصر، التي ستوجه إلى صفوف المقاومة في الجزائر.

والذين كان بعضهم يقوم برحلة إلى أفغانستان للتدرب على استعمال السلاح واكتساب فنون الحرب (نصب الكمائن، إبطال مفعول الألغام، استعمال المتفجرات...الخ).

ضم الصفوف

لم يكن هؤلاء الإسلاميون الشبان، الذين ينخرطون في هذه الشبكات يعلمون بطبيعة الحال، أن كل ذلك كان معروفا بشكل دقيق، والتي من شأنها أن تجذب فئات من الشباب، والذين قد يجدون ضالتهم في الخطب الدينية، ويستهويهم الجهاد، إنه عمل رجال محترفين بحق!

عادل وصابر، لقد كلفا بتفجير سيارة مفخخة في موقف السيارات، ووضع طارق ولمين قنبلة بحافلة للركاب، و محفوظ وسلام كلفا بوضع قنبلة أخرى في سوق بالمدينة، أثناء شهر رمضان، و لكنه نجح في إقناعه بعدم فعل ذلك، ليقتنع أخيرا أن كل هذه الأعمال، طريقها باطل وقد نجح بمساعدة أخيه، أن يهدي الآخرون، وقد أصبح من المساعدين الرئيسيين له.

سلام كان مضطرًّا إلى "الجمع بين الحمل والذئب"، فقد قرر مصيره، لقطع الدعم، وهكذا بعد ٢٤ ساعة فقط، من أن يعلن عن قراره بمساعدة النسوة من أيادي المجرمين، على النجاح في مهمته.

فلقد لجأ بعبارات أسمعها لأصدقائه، شجعتهم بقرار صائب، بالعدول عن أعمالهم الإجرامية، وبعد هداية من الله تعالى، فسبحانه يهدي من يشاء ""خير الخطائين التوابون"

إن بصمات سلام تظهر جلية، عندما يؤكد أحد "التائبين"للآخرين، و يبين لهم الحقيقة من الظلام، فقد حدد مصيرهم إما الموت والمجابهة وتخليص النسوة، أو الهرب بهن.

كانت من المحتمل جدا أن تهدف خطته إلى "التخلص"من شخص لعب دورا أساسيا في اختطاف البريئات، واغتصابهن.

فوقوع حالات اختطاف وتعذيب على أيدي الجماعات المسلحة التي تسمي نفسها "جماعات إسلامية"، ما هي إلا أن مئات من مثل تلك الحالات سُجلت منذ عام ١٩٩٣، عندما بدأت مثل تلك الجماعات نشاطها، واللجوء بشكل متزايد لاستهداف المدنيين.

وقد اختطفت الجماعات المسلحة عشرات النساء من منازلهن، خصوصاً في المناطق الريفية، واحتفظت بهن أسيرات لفترات متباينة، تعرضن خلالها للاغتصاب وغيره من أشكال التعذيب مثل الضرب، والحرق بلفافات التبغ المشتعلة والتهديد بالقتل.

وقُتلت كثيرات منهن فيما بعد، وتردد أن بعضهن أصبن بعجز دائم:**هذه شهادات على لسان بعض منهن ممن نجون وهربن.**

وفي بعض الحالات تعرضت الضحايا، للاغتصاب من جانب أكثر من واحد من أعضاء الجماعة المسلحة، فهذا يبعث على القلق على وجه الخصوص في مجتمع مثل المجتمع الجزائري.

حيث تضطر ضحايا الاغتصاب لمواجهة الألم، الذي سببته الجريمة مضافاً إليه، ما يرتبط بهذه القضية الحساسة من حرمة وخزي وعار.

كما تفاقمت المشكلة لأن كثيرات ممن كن ضحايا للخطف، والاغتصاب على أيدي الجماعات المسلحة يعشن في مناطق ريفية ومحافظة.

كما اختطفت الجماعات المسلحة، مئات من المجندين وغيرهم من أفراد القوات المسلحة، وقوات الأمن والميليشيات شبه العسكرية، واحتفظت بهم أسرى وعذبتهم قبل أن تقتلهم.

و بعضهم تُوفوا تحت وطأة التعذيب، وتعرض آخرون للتعذيب والتشويه قبل قتلهم.

سلام بفضله بصفة أخص، اعتبر بدون منازع المحرك الرئيسي، في هذا التعاون حتى هذه اللحظة! بل أنه قد رفض حتى فتوى الأمير بتكفير الشعب الجزائري، لأنه رأى أن فعلا مثل هذا، لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يصدر عن مجموعة، تحارب باسم الإسلام ضد "طواغيت الجزائر"، بتقديم تعاونه الأمير يقرر فبموته تكون كل الآثار قد طمست وانمحت، من أفكار وعقول وقلوب الآخرين المؤيدين له، خاصة بعد رفضهم للقيام بعملية إجرامية أخرى، و لكنه يفشل في ذلك بعد أن استفاق سلام لخطته، وأبلغها به أحد من الرفاق المقربين للأمير، فتظاهر بعد ذلك سلام بأنه أخطا واعتذر له وادعى بأنه ظل طريقه.

وضم صفه بالعديد من الرجال إليه، ليستكمل عدد يستطيع به الاعتماد على خطته، فالفساد لا يحتاج إلى صالح يشير إليه، بقدر ما هو بحاجة إلى طالح يعترف به . الاعتراف بالذنب هو الفضيلة الأولى، الضابط حكيم، فقد أصر على تأدية واجبه بحزم، مهما كانت الظروف خاصة أن خطيبته قد اختطفت، مع إقراره العميق بفضل عزيمته على إيجادها وتخليص النسوة الباقيات، بأنه يفضل الموت على الإخلال بالواجب الوطني في مكافحة المجرمين.

الجريمة الخائبة

توغلت أرجل الجيش الوطني، الذي أمر بمحاربة الفساد واقتفاء آثار الجماعات، لتوقيف أياديهم الإجرامية الممتدة إلى الأطفال، و النساء والشيوخ، و الرجال والشباب، مما جعلهم في الكثير من الأحيان، يواجهون مصرعهم من حواجز مزيفة وقنابل ومتفجرات، واشتباكهم بالجماعات لتزداد الضحايا، وتظم إلى قائمة المدنيين.

وقد أسفرت العملية عن اكتشاف المئات من قطع السلاح، والآلاف من الخراطيش.

و مكن ذلك توقيف وتفكيك مجموعة أخرى، مكونة من أربعين فردا تنشط جماعتهم، التي تخطط لعمليات ضد عناصر قوات الأمن والمواطنين، و كانت لم تخزن إلا بضع بنادق صيد وبعض الخراطيش والأسلحة البيضاء.

في غرب الجزائر، وفي أيام أخر وفي ساعات أخر ولكن المسرح نفسه وبالألوان نفسها، ليطغى عليها اللون الأحمر، وباقتراب الجيش الوطني لانتشال الضحايا من قرية أخرى استهدفت أبريائها.

فإذ أحد من الجنود، يقترب لحمل رضيع صغير مذبوح، فطلب منه أحد من أصدقائه، الذي كان في السابق في صفوف المجاهدين للثورة التحريرية الكبرى الجزائرية، بأن لا يلمس الرضيع وأن يبتعدوا جميعا.

فقد تنبأ بوجد فخ في المنطقة، فتجربته كمجاهد ضد الاستعمار الفرنسي، علمته الكثير في الحرب، وعلمته كيف يتنبأ للخطط والحيل، التي ينتهجها المحارب في معركته.

فبمجرد إمعان النظر في هذه القضية، والظروف نفسها التي أحاطت بها، تبين أن الأمر يتعلق بعملية مدبرة وموجهة، بأكثر خطورة بالنسبة لمن قاموا بها من الجماعات، موجهين لهم ضربة أخرى!.

وفي هذه الفترة ما إن ابتعدوا عن عين المكان، حتى أخذ المجاهد حبل ربط به بحذر رجل الرضيع المذبوح، وجذبه برفق من موقع الجريمة، ليقوم بعد ذلك برمي صخرة على الموقع الذي كان به الرضيع، فحدث انفجارا هائلا.

فلولا أن أنقذ هذا المجاهد أصدقاءه في الجيش الوطني، فكانت مأساة أخرى تؤدي بضحايا أخرى من أفراد الجيش لتكتمل مجزرتهم بما كانوا يحلمون .

وعلى الصعيد السياسي الإجراءات المشددة:

فقد وضعت إجراءات أمنية مشددة، في كامل التراب الوطني، لوضع حد لهذه الجماعات ومحاربتها بكل الوسائل.

حيث إنهم قاموا بإمساك الكثيرين منهم في الجماعات، بعد اشـــتباكات بيـــنهم، و قـــد دمروا أوكار الكثيرين من المجرمين، أين يمارسوا أعمالهم الوحشية اليومية، ضد أبناء جلدتهم وإخوانهم، و بين الوطن الذي جمعهم، بعد أن حارب من أجله مليون ونصف المليـــون مـــن الشهداء، في ثورة تحريرية كبرى كللت بالنجاح والاستقلال، و أثمرت بالحريـــة بعـــد أن دام الاحتلال أكثر من ١٣٠ عاما.

أحداث إجرامية مختلفة

عمليات الجماعات المسلحة بالجزائر مستمرة منذ عام ١٩٩١:

–وهو ما أدى إلى نتائج كارثية، تمثلت في الاعتداءات والتفجيرات المتلاحقة، التي هزت المدن الجزائرية.

قتلت عائلة مكونة من خمسة أفراد في منطقة الشلف، على مبعدة ٢٠٠ كيلومتر إلى الغرب من الجزائر العاصمة.

–وأطلق النار على أفراد العائلة، بمن فيهم طفلان صغيران، وامرأة وشخص معاق، من مسافة قريبة مما أدى إلى مصرعهم.

وفي هجوم منفصل، لقي جندي ومدني مسلح مصرعهما في باتنة، إلى الجنوب الشرقي من العاصمة الجزائر.

وتوفي ثمانية جنود لدى انفجار قنبلتين منزليتي الصنع أثناء مرور قافلتهما على طريق بالقرب من سيد علي بوناب، بالقرب من تيزي وزو، في منطقة القبائل، صبيحة الثلاثاء الفائت.

-- إن ثمانية جنود واثنين من أفراد الميليشيات الموالية للحكومة، قُتلوا خلال هجوم شنته جماعة مؤلفة من مائتي شخص بالقرب من مدينة "ميليانة"التي تبعد بنحو مائة وعشرين كيلومترا غربي العاصمة الجزائر.

وقالت قوات الأمن الجزائرية إن من بين القتلى أربعة أطفال من عائلتين هوجم منزلاهما في قرية (بقعة سيدي بوعيسى) النائية في ولاية الشلف. ويقول المراسلون إن الجماعة الإسلامية المسلحة تنشط في المنطقة.

في مجزرة قتل مسلحون في الجزائر ٢١ شخصا من أفراد عائلة واحدة بمن فيهم رضيع لم يبلغ عمره ثلاثة شهور.

وقد قتل المهاجمون ضحاياهم رميا بالرصاص وطعنا بالسكاكين في قرية ولاد عبد الله النائية في ولاية الشلف التي تبعد ٢٠٠ كيلومترا غربي العاصمة الجزائرية.

وكان متشددون، قد قتلوا سبعة أشخاص على الأقل، في حاجز وهمي نصبوه على أحد الطرق الريفية.

اشتباكات بين قوات الحكومة وإسلاميين متشددين:

تفيد الأنباء الواردة من الجزائر، بمقتل ما لا يقل عن سبعة عشر شخصا في أحدث موجة من أعمال العنف بين قوات الحكومة ومن يشتبه في أنهم إسلاميون متشددون.

وقد قُتل خمسة جنود جزائريين، وخمسة من أفراد الميليشيا الموالية للحكومة، في كمين بمنطقة باتنة بينما كانوا يقومون بتمشيطها، بحثا عن معقل للمتشددين الذين قُتل أيضا سبعة منهم.

وكان أحد عشر قرويا قد لقوا حتفهم الأس في ولاية عين الدفلة، على أيدي من يشتبه في أنهم متشددون إسلاميون.

قالت مصادر صحفية في الجزائر، إن ١٢شخصا قتلوا، وأصيب ٥بجراح في أعمال عنف متفرقة في شمال الجزائر.

وقالت صحيفة لوماتان، إن جماعة إسلامية مسلحة ذبحت أربعة رعاة، تتراوح أعمارهم بين العاشرة والخامسة عشر، ورجل كبير في السن في بلدة عين تركي، على بعد ١٢٠ كيلومتر غرب العاصمة الجزائرية.

تفيد أنباء وردت من الجزائر، أن أربعة عشر شخصا من أفراد أسرة واحدة قتلوا، في هجوم إسلاميين متطرفين نفذوه.

قالت مصادر في المستشفيات الجزائرية، إن المتشددين الجزائريين قتلوا خمسة وعشرين شخصا بينهم ستة عشر طفلا، وشابا وأربعة نساء، فيما تظم إلى أسوأ المذابح.

– وقالت المصادر لوكالة رويتر للأنباء، إن المذبحة حدثت في قرية القتيبية التي تبعد مئتين وعشرين ميلا، غربي العاصمة الجزائر.

وقال طبيب في مستشفى جزائري، إن المتشددين اجتثوا رؤوس خمسة وعشرين شخصا، ينتمون إلى عائلتين، ونقل الأطباء عن أقارب الموتى قولهم، إن الجماعة الإسلامية المسلحة هي التي قامت بالهجوم.مذابح متعددة في الجزائر:

– تفيد الأنباء الواردة من الجزائر، بأن إسلاميين متشددين هاجموا قرية في الغرب من الجزائر العاصمة، وقتلوا أحد عشر مدنيا بينهم امرأة شابة، وعدة أطفال –وأفادت الأنباء بأن بعض الضحايا لقوا حتفهم رميا بالرصاص بينما ذبح آخرون منذ بدء حركة التمرد الإسلامية المسلحة في عام ١٩٩٢، سقط عدد كبير من عناصر قوات الأمن والجيش والدرك الوطني، صرعى في هجمات متتالية.

ووقعت أحد أسوأ الهجمات التي تستهدف الجيش، والذي راح ضحيته ٤٠ جنديا، قتلوا في كمين أنحيت لائمته على متمردين إسلاميين بالقرب من باتنة.

كما شنت جماعة مسلحة هجوما، على مقهى في باطنة فقتلت عدة أشخاص

وكانت وكالة الأنباء الفرنسية، قد نقلت عن مصادر جزائرية قولها أن خمسة عشر مسافرا، قتلوا غربي العاصمة الجزائر عندما فتحت جماعة من المسلحين النيران على الحافلة التي تقلهم، وقتل خمسة أشخاص آخرين في حادث منفصل بعد ساعة من الحادث الأول.

وتأتى هاتان المذبحتان بعد مقتل خمسة عشر طالبا ومشرفهم، في مسكن للطلبة مساء السبت.

ولم تعلن أي جهة مسؤوليتها بعد عن الحادث، لكن شهود يقولون إن المهاجمين متشددون إسلاميون، ينتمون إلى الجماعة الإسلامية المسلحة أكثر الجماعات نشاطا في المنطقة.....إلخ.

خدعة نقطة التفتيش

حدث هجوم على حافلة في الساعة الرابعة بعد الظهر بتوقيت جرينتش عندما كانت تقطع الطريق بين مدينتي البليدة والميديا، وهي طريق محاط بالجبال التي يعتقد أن جماعات المتشددين تتخذ منها مركزا.

– وقد أصبح قطع الطريق ووضع نقاط التفتيش من أكثر الخدع التي تمارسها الجماعات المسلحة للقتل والنهب، كذلك قتل ستة عشر شخصا في حادث مماثل في فبراير/شباط واثني عشر شخصا في يناير/كانون الثاني ١٩٩٥وكان رئيس بلدية إحدى البلدات القريبة من مدينة جيجل الواقعة إلى الشرق من العاصمة الجزائر، وثلاثة من الحرس المحليين قد لقوا مصرعهم في هجوم، اغتالتهم الجماعة واختطفت فتاتين، وقد قدم الجناة أنفسهم على أنهم من أفراد الجيش الوطني، قبل أن يشرعوا في تنفيذ جريمتهم النكراء، وقد كان من بين ضحاياهم رضيعان و٦ شيوخ.

وقد دأبت هذه الجماعات التي يتزعمها أمراء على استهداف عناصر الجيش الجزائري وقوات الأمن بشكل خاص، ، أن العملية تتدرج ضمن سعي زعماء في الجماعة لتأكيد قوتهم وتبوأ مناصب في التنظيم.

وأحداث توالت بعد أحداث، في شتى المدن والقرى والشوارع، من الوطن كله والأماكن العمومية، والمؤسسات التعليمية، والمساجد التي لم تسلم من أيديهم.

أعمال العنف حصدت أكثر من **١٠٠٠٠٠ شخص**، قتل آلاف من الأشخاص في أنحاء مختلفة في الجزائر على أيدي مسلحين يشتبه في أنهم متشددون إسلاميون.

مظاهرات عديدة في الوطن الجزائري ضد الأعمال الإرهابية:

قام العديد من المواطنين في مختلف المدن الجزائرية، بالاحتجاج ضد الظلم والقتل، ضد الإجرام الممارس على الأبرياء من العزل، مما أدى إلى التدهور في البلاد، اقتصاديا واجتماعيا وبشريا، و خسائر أخرى لا تعد ولا تحصى، المستهدفة ضد شعب واحد، و من أبناء وطن واحد. فمن يقتل من.....؟؟؟؟؟

ونتوقف على مشاهد أخرى، ..... تذيب الأمل في القلوب، .....لو تأملت ذلك الزمان هذه المدن والبلدان..... لو نظرت في وجه كل صغير بريء....إلى أعين الناس الحزينة، وذعر الآمنين....إلى سكون الرعب.....

والظلام.....، الذي ساد بيوتهم.....، من دماء متناثرة يوميا.، وضحايا تسقط كل دقيقة.....

و أصوات القنابل، .....و طلقات الرصاص المخيفة المجرمة..... في كل شبر من الوطن، .....لارتجفت خوفا... ولدمعت عينيك حزنا....و لأحسست أن شعبا بأكمله...يواجه قهرا وذلا.....و لتصورت أن هذه الأمة العربية الإسلامية.....تواجه إبادة وحدها.

عذاب آخر

تظهر مرح من بصيص إشراقات الأسى والحزن، هنا وهناك لتصور ألم يعشعش في قلب الصغيرة، التي رأت الموت بعد خطوة، لتستمر الحياة من جديد وتحتضن بين ذراعيها وردة جميلة من ورود عالم البراءة.

فتصل بعد كل هذا إلى أحضان محسن، الذي قرر الاعتناء بها تحت ظل عذاب آخر، تواجهه لدى هذه العائلة التي لم تقبلها كفرد بينهم، بل اعتبرتها زوجة محسن عبء ثقيل، فظلت تعاملها معاملة قاسية على عكس العم محسن، الذي ظل يرعاها طيلة كل هذه السنوات بطيبة قلبه وكرمه الشديد لها.

واعتبرها كابنة من أبنائه فهي أمانة، من أغلى أصدقاء عمره رشيد، رحمه الله الذي طالما وقف بجنبه، في السراء والضراء.

فكانت زوجة محسن تؤنبها وتضربها، و تكلفها القيام بالأعمال المنزلية، بينما أبنائها يلهون، و لكنها في نفس الوقت لقيت رجلا قويا، و طيب القلب حمل عنها عبئها الثقيل، مدافعا عنها في كل مرة محاولا تخليصها، من زوجته الظالمة التي طالما تصدى لها.

وبالرغم من كل هذا ازدادت صبرا وتفوقا في الدراسة خلال كل تلك السنوات (١٩٩٤-إلى نهاية ١٩٩٥) حيث أصبح عمرها آنذاك ١٤ سنة.

و سياسيا قانون الرحمة ١٩٩٥:

كل تلك الأحداث الدامية، جعلت الكثيرين يتنكرون بشدة تلك الأعمال الدنيئة، مما جعل الرئيس السابق الجنرال اليمين زروال، يلجأ إلى وضع «قانون الرحمة»عام ١٩٩٥، الذي تضمن سلسة تدابير أمنية لفائدة المسلحين دون غيرهم، تنص على تخفيف العقوبات الصادرة ضدهم، في حال تسليم أنفسهم للجيش.

وكانت فترة منتصف التسعينات من القرن الماضي، من أصعب الفترات التي عاشتها الجزائر، إذ اعتقد كثيرون حينها بأن الدولة مهددة بالانهيار، تحت ضربات الإرهاب العنيفة.

ورفضت جماعات مسلحة كثيرة حينها، بهذا الاستسلام للقانون المقرر معلنة مواصلة العمل المسلح، «حتى قيام الدولة الإسلامية».

وتشير معلومات مستقاة من مصادر أمنية، أن قانون الرحمة نجح في إقناع حوالي ٥٠٠ مسلح فقط، بالتخلي عن العمل المسلح.

وكان تعداد أفراد الجماعات المسلحة آنذاك، لا يقل عن ٢٠ ألف فرد بحسب ذات المصادر.

«التائبون عن الإرهاب" في تلك الفترة، يشتكون إلى «تملص السلطات من مسئوليتها تجاههم»، بحيث يشيرون إلى عدم حصولهم على الحقوق، مثل جواز السفر، أو إيجاد عمـــل، ويواجهون صعوبة في استخراج الوثائق الإدارية، بسبب «ماضيهم الإجرامي».

و في ١١ سبتمبر ١٩٩٨ أعلن عن إجراء انتخابات رئاسية مسبقة فبعد أن تأكد مـــن «محدودية» نتائج قانون الرحمة، اقترح على النافذين في القرار باتباع سياسة أكثر تشددا، مع الجماعات المسلحة لقهرها، لكنه لم يجد تجاوبا، فقرر التنحي من الرئاسة واعتـــزل الـــسياسة نهائيا، و بها أنهى عهدته بتاريخ ٢٧ أبريل ١٩٩٩ وفي منتصف التسعينيات، توالت أحـــداث العنف بعد استقالة الرئيس زروال من الرئاسة.

العثور على القبور الجماعية

كثرت حالات التبليغ عن وجود قبور جماعية، تطلب توفير الموارد الكافية لحفر تلك القبور وإخراج الجثث، وإتاحة إمكانات كافية في مجال الطب الشرعي، لتحديد شخصيات أصحاب الجثث التي يتم العثور عليها.

المفقودون منذ عام ١٩٩٣، بعد أن خطفتهم على ما يبدو مجموعات مسلحة، فقد جرى إحصاؤهم على حدة وبصورة منفصلة عن "المختفين"، ويُشار إليهم باسم "المخطوفين".

ولم يتحقق تقدم يُذكَر في تحديد مصير هؤلاء الضحايا، الذين تقدر جماعات تتبنى قضيتهم، مثل" جزائرنا" و"صمود"، أعدادهم بالآلاف.

ومن المعتقد أن ثمة صلة بين حالات الخطف، وهذه القبور الجماعية المعثور عليها خلال عامي ١٩٩٨ و١٩٩٩، في آبار مهجورة بمناطق مختلفة.

وعزت الصحف، في كثير من الأحيان، الفضل في العثور على تلك القبور إلى متمردين استسلموا للسلطات، وكشفوا عن الأماكن التي تخلصت فيها المجموعات المسلحة من ضحاياها.

لكن السلطات نفسها، لم تقل شيئاً يُذكَر عن العثور على هذه القبور، ولم تكشف تقريبًا أية معلومات عن تشريح العشرات من الجثث، التي ترددت أنباء العثور عليها في تلك المواقع، وكان كثير منها متحللاً، أو عن تحديد هوية أصحابها. وكان ذلك مخيباً لآمال المنظمات التي تمثل ضحايا "الإرهاب".

فمع غياب مثل هذه المعلومات، لم يكن ممكناً التأكد مما إذا كان بعض هؤلاء الضحايا، أو جميعهم، هم حقاً أشخاص ممن خطفتهم المجموعات المسلحة.

مرح في أم الدنيا

في أواخر عام ١٩٩٦ وبداية عام ١٩٩٧، انتقلت مرح بعد ذلك للعيش في مصر، وسط أخوالها وخالاتها المصريين، الذين عزموا على أن تبقى وسط محيط عائلي، خاصة أنها ابنة أختهم وحفيدة والدتهم اللتين قتلتا في المجزرة الرهيبة.

فتألموا كثيرا فيما مضى لهذه الفاجعة، فبعد أن تعلقوا بأمهم منذ سنوات البعد الطويلة، ليعودوا في حضنها من جديد، لم تدم طويلا لحظات السعادة تلك عليهم، حتى فقدوها الآن ولكن إلى الأبد.

وهذا ما أشعرهم بالذنب وبالمسئولية تجاه أمهم المرحومة وأختهم التي تركت ابنة يتيمة، تواجه مصاعب الحياة وحيدة، بدون أهل وحنان أم وإخوة.

لكن حياتهم كانت تعتريها عذابات أخرى في واقع وبلد عربي آخر، و في جو أسري آخر.

فالخالة دنيا، يهجرها زوجها عطية ليعود إلى زوجته الأولى وابنته ، بعد أن رفضت جلب المال له من أبيها، تاركا لها توأمين تقاسي الزمن معهما خاصة عندما رفضت زوجة الجد محمود، استقبالها في بيتها الفخم.

فاضطر الجد بعد ذلك بشراء شقة صغيرة لابنته، ومساعدتها خفية عن زوجته التي كانت لا تحب أبنائه.

و يا لها من صدفة عندما يلقى حسن وحسين التوأمين، بأختهم من أبيهم آية في نفس المدرسة مع أخويها، وتتقرب منهما بعفوية دون علمها بذلك، تجمعهم دراسة وصداقة حميمة، جعلتهم يتعلقون ببعضهم البعض.

فكانت تترد كثيرا على بيتهم، ويتبادلون الزيارة، فوالدتها حنان شجعت فرحت بمعرفتها بالولدين لما يمتلكان من نقود، خاصة أن دنيا دائمًا تعطي المساعدات المالية لآية، عندما علمت بحالة فقرها، وأن والدها لا يعمل.

وعندما علم عطية بذلك شجع زوجته بالاقتراب نحو هذه العائلة لتستعطفهم وتجلب مال أكثر.

لكن آية عارضت أن يقوم والداها باستغلال زميليها، وأصبحت بذلك تعاقب إن لم تحضر مال في ذلك اليوم، أو إن لم تسرق شيئا ثمينا من ذلك البيت، لإجبار والديها بهذه الأعمال الدنيئة.

ففي إحدى المرات لجأت الزوجة حنان مع آية هناك وقامت الأم بسرقة مصوغات دنيا، في غفلة منها عندما كانت تقوم بتفقد البيت، فأجبرت ابنتها عمليات السرقة، التي استمرت بها إلى غاية أن كشف أمرها فيما بعد.

والمفاجأة كانت عندما عزموا أختهم آية، لحفلة عيد ميلادهما السادس، فما أن قام عطية بإيصالها هناك، حتى شاهد زوجته دنيا، التي هجرها منذ زمن طويل ، أنها الأم أن حفلة الميلاد ميلاد ليصدم ابنيه التوأمين.

فاختفى عن أعينهم ولم يروه هناك، وطلب من ابنته القيام بالمهمة التي كلفها إياها، و كانت في ذلك اليوم دنيا مضطربة جدا لاكتشافها اختفاء مصوغاتها وبعض من المال، فلما حدثت أهلها بذلك، حولوا شكوكهم نحو الفتاة التي تعطف عليها، لكنها دافعت عنها وابنيها.

فطلبت مرح من دنيا، أن تضع قلادة ذهبية على مرأى الجميع من في الحفلة في مكان معين، ويتولى مراقبة السارق من بعيد خليل الذي أصر على فعل ذلك.

و قبل انتهاء الحفلة بدقائق تقدمت آية من مكان القلادة، وأخذتها في هدوء، ووضعتها في جيبها، و بعد انصراف الجميع تقدم منها خليل قبل مغادرتها، وطلب منها إعادة ما سرقت، واندهشت كثيرا دنيا، التي دافعت عنها حتى صدمت بالفتاة تخرج القلادة وترميها، مسرعة بالهرب على مناداة التوأمين عليها ووالدتهما، التي ظلت تستفسر عن السبب الذي جعلها تقوم بهذا العمل، بالرغم من أنها تقدم لها المعونات دائما، وكل ما تحتاجه، لكنها عذرتها لأنها تعلم جيدا البيئة التي أرغمتها على فعل ذلك، من الحرمان والفقر

لكن الجد محمود طلب عدم ملاحقة الفتاة، بالرغم من أن زوجته طالبت بإيقاف هذه الفتاة، وأخذها إلى مركز الشرطة وقررت الاتصال بهم، لكن خليل ودنيا، منعوها من ذلك.

وعند علم عطية بالخطة الفاشلة، قام بمعاقبة آية ضربا مبرحا وأخبر زوجته بالقصة، التي قامت بعد ذلك بحرق الفتاة وتلقينها أشد العذابات، فضيقوا على البنت بإبعادها نهائيا عن الولدين، وتقدمت على منزل دنيا تدعي اعتذارها أن الفتاة أخطأت لفقرهم وأنها تحلم دائما بأن تتمتع مثلها مثل باقي الفتيات من في عمرها وأعلمتها أنها لقنتها أشد التعذيب، حتى لا تكرر فعلتها لكن دنيا لامت عليها ذلك، وقررت زيارتها فورا، بالرغم من محاولة الأم الحيال دون ذلك.

فقصدت البيت مع ابنيها، فوجدوا الفتاة في أسوأ الحالات، وما إن رأتهما حتى نهضت تعانقهما وهي تبكي بشدة وهما أيضا، وحاولت إخبارهما بالحقيقة، لكن الأم كانت تقف بجنبها لتمنعها من ذلك.

وكانت خائفة جدا ومضطربة من قدوم زوجها على غفلة، لكنه حصل ذلك لتصدم بأنه زوجها السابق والبنت ابنته، واندهش الولدين والفتاة، عندما علموا بأنهم إخوة، وكانت زوجته تسيطر عليه فأمرته بطردهم من هناك عند علمهم بذلك.

فقام بإخراج الولدين الذين أخذا بالبكاء والصراخ من جهة، وشد الفتاة من جهة أخرى، والأم تجذب ابنتها والوالد يراقب كل هذه المشاهد .

و بعد ذلك أصبح الوالد يتربص بالولدين، مستغلا الموقف بخطة من زوجته بجلب المال من دنيا ، خاصة عندما علم أن الجد محمود ينفق عليها، وعلى ابنيه مالا كثيرا.

فهددها بخطف الولدين، و لكنها رفضت لأنه يستغل أمواله في شرب الخمر، والحرام، و طلبت منه الابتعاد عن ابنيها، ولكنه قام بفعلته الدنيئة، وخطف حسين من المدرسة، وهرب به إلى مكان أبعد.

ولاحقته الشرطة باحثة عليه، واحترق قلب دنيا على ابنها مدة طويلة، وتبقى عطية على ذمة التحقيق الطويل، إلى حين اعترافها بمكان زوجها، ليعثروا عليه أخيرا ويجدوا الولد في أسوء الحالات.

أما الخالة قمر، فإنها من بين الفتيات اللاتي تفوقن في دراستها الجامعية، بعد سنوات طويلة من رسبوها في الباكالوريا عدة مرات، لتلتحق أخيرا بالجامعة وتتربص بها شلة من شبان وفتيات هاجر، رانية، شهرزاد، جيهان، صهيب، عبد الجواد، جمال، عيسى، موسى، ليجذبوها في صف المخدرات بعد خدعة من صديقاتها، بوضع المخدر في بادئ الأمر في العصير، الذي تعودت بعد ذلك على شربه منهم.

و أثناء الألم العنيف في رأسها الدائم وإغمائها المتكرر، صدمت بتعاطي رفيقاتها تلك الحبوب، التي حاولت معرفتها عندما كشفت أنها ليست حبوب معالجة آلام الرأس كما يدعون عليها، فاعترفت لها صديقتها بأنها قد أدمنت على المخدرات، لتبقى رهينة لديهم بأمرها بجلب النقود الكثيرة التي تملكها زوجة أبيها التي تحبها، وتعاملها بانحياز عن الباقين، من إخوتها لأنها كانت البنت المطيعة لها دوما والمقربة منها.

فقد عزم رئيس العصابة عنتر وتابعوه، على ملاحقة الفتاة لأنها في نظرهم كنز لا يعوض، و أنها مصدر ربح كبير.

فأصبحت تبحث عن النقود يوميا، حتى توقفت بهية عن مدها متخيلة أنها تقوم بمساعدة إخوتها، فلجأت قمر بعد ذلك إلى سبل أخرى للحصول على المال بأي طريقة، حتى ولو كان على حساب أحد من إخوتها.

فقامت بسرقة مجوهرات ومصوغات بهية الغالية الثمن، لتوقع أختها سهير محل اتهام لدى زوجة أبيها، بعد إقناع قمر لها بأنها الفاعلة، خاصة أن سهير كانت تريد الحصول على

إعانة مالية من أحد من العائلة، تقدمها إلى مرضى الأطفال بالسرطان، خاصة أن أحد من الأساتذة ابنه مريض ويحتاج إلى إعانات لذلك الغرض .

فبهية المتسلطة اتهمها بذلك، وقامت بتحرير شكوى ضدها، بعد أن فشل الجد محمود بإقناعها عن عدم إثارة البلبلة والفضائح وسط الناس، ولكن دون جدوى.

بذلك توقفت سهير عن عملها، بسبب وضعها على ذمة التحقيق، إلى غاية ثبوت التهمة، وبالرغم من أن الجد محمود دفع كفالة.

فنشر الخبر في الكلية، مما أساء إلى سمعتها كثيرا وسط الطلبة، و وسط زملائها المدرسين، التي كانت بالنسبة لهم القدوة الحسنة في الطيبة والخلق. ومرح بقيت تحت رعاية الجد محمود، الذي عوضها عن حنان الأب رشيد، فحاول حمايتها من زوجته المتسلطة، بعد نجح في إقناعها بالبقاء، فربط بقائها ببقائه بالمنزل عندما حاولت طردها، مما حتم على بهية بالقبول لشدة تعلقها بمحمود.

ولكن مرح في ظل كل هذا، من جانب آخر، لم تستلم إزاء هذه المشاكل، خاصة أن خالتها سهير الطيبة، هي التي قدمت بها من الجزائر لتتكفل بها، وتبعدها عن المآسي والأحزان، لتكمل تعلميها وتتفوق هناك بمساعدة منها والتي أحاطتها بحنان الأم التي فقدتها إلى الأبد.

فحاولت مرح، إقناع قمر بالاعتراف قبل المحاكمة التي ستهدم مستقبل أختها، وتقربت منها حتى كشفت إدمانها للمخدرات، عندما وجدت في درج خزانتها قطعة من جواهر بهية، وبودرة في كيس، لتواجهها بهذا، تاركة الأمر بين يديها وبين ضميرها الخارس.

وبعد أن شب بينهما شجار ابتعدت مرح، لتهديد قمر لها بأنها ستجرها فيه مدعية، أنها مشتركة مع عمتها في جريمة السرقة.

فلجأت مرح إلى عمتها وأخبرتها عن ذلك، وأكدت لها بأنها لن تتخلى عنها حتى تثبت براءتها، و أقنعتها بإيمانها القوي أن الله لن يضيعها إن تمسكت به.

وبذلك ظلت قمر وضميرها يعذبها كل يوم، لتتردد تارة عن قول الحقيقة، و تارة أخرى في إخفائها.

خاصة بعد تلك الكلمات، التي حركت مشاعرها من قبل مرح التي وعدتها بأن تقف بجنبها، إن اعترفت بذنبها محاولة إقناعها، بأن المخطأ يمكن أن يغفر له خطأه وظلمه، ويقبل الله تعالى توبته، مهما كان خطأه جسيما فإنه غفار رحيم.

و كانت تريد بذلك إخراجها من صمتها الطويل القاتل...، ولعله كان ضميرها يقاتل من أجل أن يخرج ما عنده...

أما خليل، فقد قضى أيام شبابه الأولى في اللهو والعبث، مع الشباب في هـذه الحيـاة الدنيا، التي تفاجئه بعد ذلك بمرضه الخطير بسرطان الدم، الذي لا يكتشفه إلا بعد فترة طويلة، تبدأ بآلامه الشديدة، في رأسه الذي كان يعتقد أنه صداع يتملكه، كغيره من باقي الناس، ليواجه مشاكل مع والده وجده وبهية الذين اعتقدوا، أن نوبات آلام رأسه الشديدة من جراء المخدرات.

وفي أحد الأيام يشب بينهم شجار قوي، لتأخره عن دخول المنـزل، فتـأملوا وجهـه وعينيه التي كانت مزرقة من التعب، فعزموا على أخذه إلى الطبيب للكشف لهـم إدمانـه، و بذلك تقرر بهية طرده نهائيا من الفيلا إن ثبت ذلك.

ولكن سبب تأخره، كان بسبب تحصله على عمل في إحدى المقاهي، بالرغم من أنـه طالب في الجامعة، حتى يؤمن مستقبله محتاط لأي ظروف أو موقف تتخذه بهية ضده، خاصة إن أصاب مكروها والده فلربما ترميهم إلى الشارع.

ولكن المفاجأة كانت كبرى عندما هرب من الفيلا، يجوب في الشوارع والطرقات بعد وقت متأخر من الليل، فتوجه إلى أحد المساجد ليصلي صلاة الفجر الأخيرة.

وما إن كشف الأهل هربه حتى قرروا البحث عنه، و لكنه لجأ بعد ذلك إلى الجامعة، و أغمي عليه في المحاضرة، و نقل على الفور إلى المستشفى الذي كشف مرضه الخطير.

استدعيت بعد ذلك عائلته وأخبروا بالأمر مما زاد الصدمة عليهم، و الندم لما اتهمـوه به، فظل هناك لمدة أسبوع يصارع موته في ظل الآلام والمعاناة، فما أن سمعت سهير بالخبر حتى فوجئت بذلك وتألمت كثيرا.

ولم يمر يومان حتى طلب رؤية سهير، وأخبر بهية أن تتراجـع عـن موقفهـا فـي اتهامها، وطلب من قمر الاعتراف لأنه كان يعلم بأنها من سرقت الجواهر الثمينة، لأنها كانت تطلب مالا كثيرا كل يوم، و بأنه لن يسامحها إن توفى إن لم تعلن الحقيقة .

والمفاجأة كانت عندما قرر الأطباء بذل جهدهم الأوسع في إنقـاذه، فطلبـوا شخـصا يتبرع بدمه، يكون من نفس زمرة خليل، ليستبدلوا له دمه المصاب بالسرطان لعل أن هذا قـد ينقذه.

وما كان أحد يملك نفس زمرته سوى أباه المتعب، الذي لم يقبل الأطباء بنزع دمه، أما الباقين من إخوته فكانت زمرهم، كلهم مخالفة فقد حملوا زمرة أمهم الجزائرية، إلا هو الـذي أخذ زمرة أبيه.

فقامت مرح، بالتبرع بدمها الذي أنقذ خليل في بادئ الأمر، ولكن لم تدم أيام طويلـة فكتب الله له الموت الذي كان يتربص به.

خلفت هذه الفاجعة أثرا في نفسية الجميع، وبالأخص قمر التي كانت متعلقـة بأخيهـا كثيرا.

فنجحت مرح في ذلك...، فاستسلمت مهزومة بين شرها القابع في نفسها، وبين ضميرها الذي استيقظ على كلمات أحيته بعد مماته...وما كانت اعترفت وهي تعرف الحقيقة الواقعية...، فلا بد من إعانة وتبرئة سهير المظلومة.

و يجب عليها كسر جدار الصمت، الذي تتخفى وراءه الكلمات والجمل..لقول الحقيقة التي تبرأها.

فقررت بعد ذلك اعترافها بجرمها، و تبرئة أختها وإنقاذها من الموقف، أما مرح فلم تتخلى عن قمر، و حاولت تقديم المساعدة لها بأن تعالجها من إدمانها، وكانت أشجع في وقفتها بجنبها، عندما أطلعت الجميع بالأمر حتى يجد حلا ينقذ ابنتهم التي وقعت ضحية شلة السوء.

لكنهم تصدوا في بادئ الأمر، فأقنعتهم بالوقوف بجنبها وعلاجها، فلا يعني إن أخطأ شخص مرة أو مرتين أو أكثر، أن ترميه إلى الشارع أو تتخلى عنه، بل الواجب أن تقف بجنبه، لتعيد له الأمل من جديد في حياة أفضل، فليست نهاية العالم تتوقف عند هذه الأخطاء.

بهذه الكلمات وقفت العائلة بجنب قمر، وقاموا بعد ذلك بإدخالها إلى مصحة تعالجها من الإدمان.

أما شلة السوء والمخدرات، لم يتوقفوا عن اللحاق بها خاصة عندما ابتعدت عنهم وبجلب النقود الكثيرة لهم، كان من السهل عليهم معرفة أمر إدخالها إلى المصحة وذلك من قبل صديقتيها جيهان ورانية، اللتان كانتا دائما تترددان عليها في المنزل.

واعلموا الباقين بما حصل ورئيس العصابة عنتر، مما جعله يخطط بتهريبها من هناك، و قام كل من شهرزاد وهاجر بزيارتها وأقنعوها بالهروب من، خاصة أنها تتألم بشدة من توقفها عن أخذ المخدرات السامة، التي عشعشت في جسمها، لكنها رفضت بصرامة، كون وعدها لأهلها ولمرح، التي أنقذتها بأن لا تخذلهم لوقفتهم بجنبها.

فقام صهيب وعبد الجواد وعيسى باختطافها من المصحة، ويراقب المكان جمال وموسى، و بعض من تابعي رئيس العصابة وقاموا في محاولة هربهم بالاعتداء على الطبيب المعالج وقتله، و ضرب بعض الموظفين هناك.

صُدمت العائلة بهربها وظلوا في حيرة وبحث مكثف عليها، لكن دون جدوى، لكن في إحدى الليالي اتصلت بهم العصابة لتطلب مال كثير مقابل حياة ابنتهم.

وقامت العصابة في ليلة مبيتها عندهم باغتصابها واحدا تلو الآخر، وبعد أن هددتهم بفضح أمرهم عذبت بأشد التعذيب.

لكن الأمر كان في بادئ الأمر من حسن حظها، عندما تألمت كثيرا هاجر التي اقتنعت بأنها ستلاقي نفس المصير، إن امتنعت عن أداء عمل معين لهؤلاء الجبناء، فقررت أخيرا أن تنقذ نفسها، ولم تنسى بذلك صديقتها قمر.

لجأت هاجر قبل هربها مع قمر، إلى تمكنها من الاتصال بالشرطة، و أعلمتهم عن مكان العصابة، فاتصلت بالضابط لؤي، جارها الذي كان دائما يعارض طريقة لباسها وتصرفاتها، بنصائحه المتكررة عليها، لإرشادها الطريق الصحيح، خاصة أن والديها متوفيان ولها أخ قاسي بالتعامل معها .

لكن هاجر قررت تهريب قمر من هناك، لقرار عنتر بقتلها إن تأخرت العائلة بجلب المال، فاكتشفوا بعد ذلك هربهما، وقرروا اقتفاء أثرهما بمساعدة جيهان التي يمكن لها أن تتوصل إلى المكان، الذي يمكن أن تلجأ إليه هاجر.

وبالفعل تم العثور عليهما بعد هربهما بدقائق قليلة، و قاموا بفعلتهم الدنيئة بقتلهما، بفرحة كبيرة من الفتيات اللاتي طالما كن يغرن منها طوال فترة تواجدها بالجامعة، لما تتميز به من جمال وخلق وتفوق في الدراسة الجامعية ، و محبة من قبل الأساتذة والطلبة والجميع .

بعد أن ملت العائلة بالعثور عليها، أخيرا يقبض على العصابة بقيادة الضابط لؤي، و لكن الفتاتين لم يتم العثور عليهما، بإدعاء العصابة بهربهما.

وفي إحدى الأمسيات وجد الفتاتين أحد المارين، جثتين هامدتين بالقرب من نهر النيل، فاتصل بالشرطة فاكتشفوا أنهما قمر وهاجر.

استدعي الأهل ليتعرفوا على ابنتهم، فوجدوا أنها هي نفسها، ليقع الجد محمود تحت صدمة نفسية، أبقته في المستشفى عدة أيام، و قاموا بتشريح جثتها ليكشفوا آثار العنف والمخدرات والاغتصاب الذي مورس ضدها.بدأ الضابط لؤي والشرطة المصرية في التحقيق، حول الجريمة، فقد أثرت هذه القضية في نفوس الجميع لتكون ضحية إجرام أخرى لمافيا وعصابات المخدرات فتاتين في مجتمعنا هذا الذي لا يرحم أبدا، و كشف التقرير الطبي عن الفاعلين وقدموا بذلك إلى المحاكمة.

أما برهان مهندس الكمبيوتر، الذي عانى من البطالة طويلا بعد تخرجه من الكلية، وبعد رفض زوجة أبيه إعانته بمال يبدأ به حياته العملية.

ولم يكن سجله وقتها يتميز بأي شيء خارج عن المألوف، فليس من المستغرب أن يتولى إتباع "جماعات الإجرام"، لما يعانيه من البطالة.

ومن هنا أتى الانحراف والتوريط، الذي جر إليه العديد، وبالفعل يجب أن نعرف أن في ذلك الوقت لم يكن من السهل احتواء عدد من المجموعات المبعثرة هنا وهناك، وقد كانت تحدث دائما أمور غير متوقعة ومفاجآت في آخر لحظة.

خاصة لما تتميز به السلطات المصرية ومخابراتها، بقوتهم العالية من محاربة الفساد بأنواعه، سواء تعلق الأمر بآفات اجتماعية كالمخدرات.....أو غيرها، أم تعلق الأمر بما يهدد نظام الدولة المصرية من قضايا التخريب والإرهاب.

فهذا لا يخفى على أي شخص، أن مصر كانت قوية في هذه المجالات....

أصبح من المستحيل على برهان الرجوع إلى الوراء، وهو ما يفسر كذلك النسبة العالية من الشباب الذين أدمنوا تعاطي المخدرات للتغلب على احتياجهم المادي، وتجاوز الأوضاع التعيسة التي وجدوا أنفسهم فيها.

ففي هذه الدوامة من العنف، بل "الجنون"، تمكنت الجماعات من التطور والعتو، فيما بعد عدة عمليات مشهدية مثيرة نفذتها بمبادرة وتوجيه من ارتكاب جرائمهم في حق النساء والأطفال.

و برهان كان تورطه فرعي، في صفوف الجماعات، فأصبح هو الآخر ضحية أخرى تقع في مصائد الشياطين.

أما ماهر الأخ المعتدل، فقد علم بأمر أخيه لما صدر منه من أعمال، أثارت الشكوك حوله، فواجهه بذلك محاولا هدايته وإبعاده عن طريق الضلالة، فاعترف له بذلك، و لكنه لم يقتنع بمحاولات أخيه، وحدثت شجارات بينهما كثيرا حول الجماعات التي يتبعها، فكان من بين الحوارات لآتي:

ماهر:

"من الخطأ الكبير في حق الإسلام العظيم، وحق الصحوة وحق المجتمع والأمة، أن تدافع وتتورط في هذه العمليات البشعة، التي يذمها الله لقوله تعالى:"إنما المؤمنون إخوة " أي في الدين يا أخي والحرمة لما في النسب، لهذا قيل أخوة الدين تنبت عن أخوة النسب، فإن أخوة النسب لا تنقطع بمخالفة الدين، وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب، لقوله صلى الله عليه وسلم "لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تجسسوا، ولا تحسسوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله إخوانا"عن أبي هريرة.

برهان:

"أجئت تملي علي محاضراتك الزائفة، ولن يكون أحد أخي ما دام عازما على الكفر واستمراره فيه "

ماهر:

"إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"المسلم أخوا المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، –التقوى هاهنا –بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه "لفظ مسلم

و هذا مثل يقال:أخاك أخاك إن مَنْ لا أخا له كَساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح، أتحب الاعتداء على الإخوة المسلمين، تمعن يا أخي برهان في الأحاديث والآيات، إن لم تقتنع

بكلامي لتجدني في الأخير على صواب، وأنت في ضلالة، أتعتقد بأنك تحارب الظلم والفساد، بأن تغير أمة بقتل أطفالها ونسائها وشيوخها، فلو كان الإسلام كذلك لما اتبعه أحد "

برهان:"إنك تهذي، فإخواننا في الجزائر انتصروا في محاربة الفساد ".

ماهر:"إنك تدخل في تلبيسات إبليس، ولن تقوم بإغاثة نفسك اللهفانة من مصايد الشيطان".

و كان قلب برهان يذوب حنانا، لسماعه هذه الكلمات، لتعشعش في أفكاره ثانية آراء الجماعات.

فقال لأخيه:

"إن أدلتك ضعيفة بالنسبة لأدلتي، أتريدني أن أبقى مكتوف اليدين وسط العراة والحفاة والكفرة، وسط من يدعون الإسلام بمنكرهم وأكف عنه، فهداية الناس والنهي عن المنكر والأمر بالمعروف، من شيم الإسلام في طريق الحق والنصر".

نظر ماهر إليه وفي عينيه النظرة التي تتراءى في عين أخيه السحيقة، و كان صوته ينم عن غضب هائل عصف في صدره، ولكنه حاول كتمه لإقناعه بالعدول عن الجماعات بقوله:

"إن هذا الصنف أخرجوا لنا عفريتا جديدا، من قمعه للأبرياء فما جروا وراءهم إلا المصائب والويلات للشعب الجزائري، أو ليس هذا منهجهم في التعامل مع إخوانهم، أو ليسوا من أفسدوا الدين وسودوه في أعين الشباب؟؟، ألا ترى إليهم وهم ينشرون فكر الإيمان البارد، و الرهبنة المخيفة فيهم، ألا ترى أنهم أساءوا إلى كل علماء الدين، فلو ابتليت بألسنتهم السليطة وأخلاقهم الفجة، و سلوكياتهم المشينة، لتأسفت على نفسي كثيرا، إنهم يوهمون أنفسهم أنهم رافعون الجراح بتعديل الأمة، و هيهات يا أخي أن أكون مثلهم، فإنهم من المضحوك عليهم من اتبعهم في إجراماتهم، فالزبد يذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض، و إنك لمنجر وراء خطأ كبير، فكيف لك أن ترتقي إلى مستوى الجرائم الكبرى"

فرد برهان:

"إنك رجل ضعيف زائغ عن منهج الإسلام، وأعرف مدى تخبط الناس في الحرام، و عدم ثباتهم في الإسلام، إنما نحن نتبع منهج التصفية في إقامة الدولة الحاكمة بشرع الله، فإننا نركز جهودنا إلى الأهم بالتوحيد، أما لمن تظل به السبيل فإنه يلقى عقابا عادلا "

ماهر:"إنك لا تهدي الناس، بل تعمي القلوب والأبصار، و تزيد من الفتنة والنار، و ما كان الدين دين عنف وإكراه، و ما فعل الرسول الكريم ذلك أبدا، فاهتد بالله يا أخي وعد إلى الصواب، قبل أن يدور عليك ظلمك بفتنتهم هذه على العباد والبلاد "

برهان:"إنك تضيق الأمور وتصعبها، ولا تمسك الرؤية الواضحة عن مشروعنا، فإنك بذلك تبتعد عن الحق الذي كنت في يوم من الأيام، منتقدا لمن يغرقون في فوضى الفساد بأجنحته المختلفة".

ماهر:

"إن ما تدعوا إليه وفكرك الذي تحمله، و أمثالك هم أخطر إجراما على البلاد، و ما يفعله هؤلاء ما هو إلا تهديم للدين، و للأمة العربية والإسلامية، باسم الدين، فاقرأ التفسير الصحيح، وإياك بتفسير المبتدعة، فإنهم دعاة لجهنم ولا يفقهون من الدين والواقع، إلا ما يخرجهم عنه فقصورهم وجهلهم هذا يعتقدون به، أنهم مرضاة لله تعالى وحاشى أن يأمر الله ذلك، لقوله تعالى:"و الدين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا مبينا "و لقوله تعالى أيضا:"لا إكراه في الدين"

ولقوله صلى الله عليه وسلم:"إن الله لم يكن ليجمع أمة محمد على ضلالة فإذا رأيتم الاختلاف فعليكم بالسواد الأعظم"، فالقلب يا أخي حر في الاقتناع بالعقيدة، و لا تترسخ أبدا بالعنف ولا بالضغوط، لتتحول إلى مصنع الدم والأسى والحزن للأبرياء، فهل ستجسد شرع الله بالظلم وسلب الحريات، بالتطرف والاستبداد والإجرام ؟"

نظر برهان متأملا أخيه، ولكل هذه الكلمات التي أثرت في نفسيته صامتا، يبحث عن حجة أخرى يقابل بها أخاه.

فقاطعه بكلامه ماهر:

"كيف لك يا أخي برهان، أن تشق طريق تكفير المسلمين وقتلهم واستحلال دمائهم، ولماذا الجبان يستتر وراء الحجاب دوما، أتعلم لما ؟ لأنه لا يقارع الحجة بالحجة، فيقول المثل:"إن الجبان حتْفُه من فوقه".....

فإني أعجب لأناس لا يتأثرون، إن رأوا المنكر ولا يحركون ساكنا، فإنك تطلق على الكفر كفرا، و على البدعة بدعة، و الفسق فسقا، أتثور من أجل الباطل، و لا تحرك طرفة عين دفاعا عن الحق ".

ماهر:

"إني أبرأ إلى الله ما رميتني به، من القبول باستباحة الدماء باسم الشرع والسنة، فاتق الله، فهل الحق يعرف بقتله أم بأدلته، فأسلوب الهجوم دون مبرر يلعنه الله، ويلعن كل أفاك عظيم أثيم عن إخوتنا المسلمين، إني منصرف وسأترك لك هذه الكتب فهؤلاء هم: رموز العلم الشرعي:"الغزالي والشعراوي، القرضاوي والطنطاوي.."

الذين شرحوا مناهج الشريعة الصحيحة، لمن أراد أن يسير في طريــق الله، والتــي ربما ستجد لأسئلتك جوابا تقتنع به، فالإسلام يوحد المسلمين ولا يفرقهم، والمثل يقول:أخــوك من صدقك النصيحة ".

ثم تركه يتخبط في صراع قرارة الهوة الموحلة، التي ســتأخذه إلــى الانحــدار فــي الظلال، أو ترده إلى سواء السبيل، و بين تلك الكتب التي أثاره الفضول في معرفة محتواها.

الوقوع في الظلالة

كل هذه الأحداث توالت، لتقع مرح بعد براءة عمتها من التهمة لتستقر معها في شقة بعيدة عن الفيلا، التي قررت عدم الإقامة فيها، في أيدي فردوس وزوجها عمر المتشدد والمنغمس في الجماعات.

لتعشعش هي الأخرى أفكارهم في عقلها النير، بقوة إصرارهم على جلبها وسطهم ووسط الجماعات، التي تستهدف الأبرياء.

ولكنها تبقى تصارع ضميرها الذي امتزج، بطيف الرجل المستتر في المنام، والذي يحاول هدايتها دائما ومواساتها في معاناتها، وبإرشادها دوما إلى الطريق الصواب.

وما إن ظهر لها في المنام مرة أخرى، حتى استنصحته في أمرها الحائر فحدثها قائلا:

"إن سفينتي ستبحر عما قريب، و أوصيك إن كنت لا تعلمين، و اختلطت عليك الأمور، أن تتصلي دوما بأهل الذكر واسألي أهل العلم في أمورك، قبل أي خطوة... "

و كاد أن يظهر لها جليا، وهو يقترب إليها لكن سرعان ما اختفى، وهي تناديه وتناجيه، أن يعود لكي تراه، ولكنه اضمحل وغاب عنها.

وبقيت مع نوباتها التي اصطحبها قلق وفزع، وهي بين مقدمة ومحجمة وتلك الأفكار الخطيرة، تحتل ذهنها تارة وتجلوا تارة أخرى.

واشتدت لديها تغلغلا إلى أعماقها، و خيل إليها في ذعر أن تلك الأفكار قد دبت وخيمت في ذهنها، و مناظر الإبادة والمجازر التي راحت ضحيتها عائلتها وأصدقائها وأحبابها لا تفارقها.

و على الرغم من الاضطراب الذي كان يعصف في أعماقها، فإنها لم تنكص على عقبيها، في أن تحاول فهم الحق من الظلم، و ما أمر الله به في محكم آياته ورسوله الكريم لما أولوه لها.

فكان تفكيرها منصب على المهمة، التي حزمت أمرها عليها في محاولة رؤية الحقيقة، عن أشياء غير واضحة باتخاذ الإسلام ذريعة، بالجهاد ضد الأبرياء.

و ظلت بذلك تتخبط بتلك الصراعات، في كل خطوة تتقدم بها مع فردوس وجماعة زوجها.

و كانت حينما تأوي إلى فراشها للنوم، تعتقد في ذاتها أنها لا تنام نوم الأبرار، وأنها مخادعة المجتمع، و عندما تسند رأسها إلى الوسادة لا تكون مطمئنة البال، وتعتقد أن وجهها

النبيل قد زال عنه شروقه، الذي كان يضيئه نور الأمل والثقة والإيمان، حتى قررت اللجوء خفية إلى شيخ من مشايخ الأزهر، وبعدما نصحها الرجل المستتر بذلك ليفسر لها ما يحيرها.

و لجأت هناك بصعوبات كبيرة اضطرت إلى تغيير شكلها، من ارتدائها الحجاب العادي، إلى إخفاء وجهها نهائيا وتغطيته، حتى لا تعلم الجماعة بأمرها.

و ما إن التقته هناك، حتى أخذ بإعطائها تعاليم الإسلام الصحيحة بقوله لها:

"إن هذه الأعمال يا ابنتي أعمال سيئة، تسيء إلى سمعة الإسلام، فقد صار شماعة تعلق عليها أعمال المجرمين، ومرتكبوها خارجون عن ملته، فهم يستهدفون كل بلد عربي وإسلامي ، كي تتربى فيه عداءات ونفور ضد كل من هو عربي ومسلم، هذا هو الأمر الذي أساء إلينا كثيرا، خاصة في دول الغرب، مما أدى أيضا إلى زعزعة الأمن الشعور بالطمأنينة وسط أمتنا ".

تأملت مرح كل هذه الكلمات بقلب مسموع، وبضمير أيقض فيها روح الرحمة والسلام، وروح المعاناة أيان صغرها في الجزائر، وهذا ما زادها قوة لتمحوا من ذاكرتها النوبات والصراعات، التي توقظ ضميرها في كل خطوة غير صائبة تتجه إليها.

فأخذت تنظر في الشيخ بعينين حائرتين، وارتسم على وجهها شيء من الدهشة، وأدركت أن الحزن يغمر كيانها والدنيا تجذبها يمينا وشمالا.

فقالت في حشمة: "يا شيخنا لم هذه الجماعات تشن حملتها ضد الخير والصلاح، وهي تعرف مدى بطشها للأبرياء "فقال لها:

"إن عقولهم متحجرة، فقد صار لهذه الجماعات تأثير كبير على الشباب المتحمس بعاطفة التصوف، وفي شعار الكبائر التي يجب محاربتها وسدا للذريعة، فباعتقاداتهم هذه كفروا بها الحاكم والمحكوم الصغير والكبير والعاقل وغير العاقل.....كفروا أمة محمد صلى الله عليه وسلم أجمعها، فهل هذا إسلام ؟؟؟....إنهم تحت ردائه، فيجب يا ابنتي أن نوسع دائرة الوعي والفهم، و الدعوة في تقويم وكسر هذه الجماعات، التي ستظل تطحن الأمة العربية والإسلامية بكفيها، فتنفيذ الحدود لا تطبق إلا على البسطاء من أبناء الشعب، فالإسلام يا ابنتي يدعوا إلى العدل والإحسان ولا يقبل التعسف في استعمال الحق، و تنفيذ مآربهم في مكاسب دنيوية زائفة، الكل يريد بالنصوص تأويلها فيما لا يحتمل التأويل، و إني أقسم لك كم من عالم مات وهو كاظم لعلمه، خوفا من صيحات الغوغاء من هنا وهناك، من الذين قرءوا صفيحات لشيوخ الإسلام، و نصبوا أنفسهم علماء، خشية الفتنة وهم يعلمون إذا اجتهدوا وأصابوا فلهم أجران، و إن أخطأوا فلهم أجر.

و اعلمي أنهم لم يتركوا مجالا لنتفق فيما اتفقنا فيه، وليعذر بعضنا البعض، و أتوا بالعرف وتمسكوا به وأولوه، و تناسوا بالأصول ولم يعملوا بها، واعلمي أنها فتن قطع الليل

المظلم، و الظلم ظلمات يوم القيامة، لقول الرسول ص:"إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق "و أصبحوا كل هذا يدلوا بدلوه، كل حزب بما لديه فرحون، و كل فرقة تلعن أختها ويكفرون بعضهم البعض، و ينتصرون لعالم بقولهم كذا وكذا، و يحقرون آخر وتناسوا أن يقولوا قال الله تعالى في القرآن الكريم، وقال رسول الله في الصحيحين، إلا أن يقولوا قال ذلك العالم أو قال فلان وأجتهد إمام، فحادوا عن طريق الصواب، فعسروا ولم ييسروا، ونفروا ولم يبشروا،

و قال تعالى: "و جعلناكم أمة وسطا"، فادعوا الله أن يهدينا وأمتنا إلى الخير والصواب، و يرفع عنا البأس الشديد ويسدد خطانا، و يغفر لنا خطايانا، و ستجديني إن شاء الله بجانبك، و كيفما تشائي ولا تيأسي "

فقالت مرح:"سدد الله خطاك ورعاك، وعلى ضوء ما تعلمته من توجيهاتك الراشدة وكشف الداء الذي ألم بنا، والذي مارسوه بعض الشباب الذين أظلوا السبيل، والتي كنت بحاجة كبيرة إلى توضيحها "

و كانت تتوالى على الشيخ الفاضل، كلما أتيحت لها الفرصة، فرحمة ربي واسعة، فانطلقت لتجدد أفكارها برؤى صافية، لا تعتريها انحرافات وتورطات مع الجماعات، بأن تتغير من الأسوأ إلى الأحسن، بعدما أنار نور بصيرتها هذا الشيخ الفاضل، الذي بقيت كلماته في قلبها وعقلها ومخيلتها، لتصغي إلى ضميرها الخفي، الذي حرك إنسانيتها حتى لا ترى الشيطان على ضوء الجنة.

الإرهاب عدو الحضارة

و في أحد الأيام بينما انتقلت مرح وخالتها سهير وأحبابها الذين قدموا إليها من أمريكا كسواح لزيارة مدينة الأقصر في عام ١٩٩٧، والتي لطالما وعدتها بـذلك، و التـي فـضلت الاستمتاع بالجو الساحر، و الأماكن الأثرية والسياحية الجميلة، التي تزخر بها المنطقة، والتي يتوافد عليها المئات من السياح الأجانب من دول مختلفة من العالم.

وبينما انشغلت سهير هناك مع أحبابها، لتجد مرح نفسها في عمق خيالي منبهرة مـن الجمال المبهر لتلك الآثار الساحرة، محاولة أن تتمعنها بدقة، ما صنعه أبناء النيل، مـن تلـك الحضارة العظمى، التي انفردت بها وأبهرت العالم وأصبحت لهم قبلة يتوافدون إليهـا، ممـا جعلها تتأخر عن القافلة.

وما إن ابتعدت عن المكان، إذ يسمع انفجار يدوي في المنطقة، هـز بـذلك الحـادث الإرهابي الذي خلف ضحايا كثيرة، استهدف فيها أبرياء وأدت إلى مقتل ما لا يقـل عـن ٨٨ شخصا، معظمهم من المصريين المدنيين الأبرياء، وأجانب آخرون ومن بينهم سهير وأحبابها.

فما أن اقتربت مرح من مكان الانفجار، حتى بقيت جامدة بمكانها ووثبـت واقفـة، و بدأت ترتجف من قمة رأسها إلى أخمص قدميها، و بقيت في ذهول

وذعر، حين شاهدت تناثر الموتى والجرحى وهلع الناس وفزعهم.

وصراخهم، لتستوقفها من جديد مناظر المجزرة الرهيبة لأهلها، لتستيقظ على أيـدي الشرطة تبعدها من مصدر الحادث المؤلم.

فتحرك بصرها يمينا وشمالا، متأملة الدماء والجرحى والقتلى، لتبصر عن بعد خالتها وسطهم وبجنبها طفل صغير، لتقترب للتأكد من ذلك وما تقدت وكشفت ذلك، حتـى أجهـشت بالبكاء والصراخ.

وطوق المكان بالشرطة والأمن المصري وسيارات الإسعاف، لتلتحق مـرح بخالتهـا إلى المستشفى، وما إن وصلوا حتى كان المكان يعج بالناس وسط هتافـات وصـرخات وآلام الجرحى.

وظلت مرح هناك لا تبارح مكانها حتى تطمئن على خالتها وما إن سمع الأهل بـذلك حتى قدموا إلى المستشفى فزعين..

وما إن أشرقت شمس الصباح، حتى زاد شعور العائلة بالرهبة التـي توغلـت فـي أعماقهم، حين أخبرهم الطبيب بأن نجاتها مستحيلة.

وما إن اقتربت مرح من خالتها وأمسكت لها يدها، أحست بها ونظرت إليهـا بنظـرة حزن وكآبة، وهتفت عليها بصوت الإنسان الذي يئس من كل رحمة في الأرض.

فطلب منها الجد محمود عدم الكلام، ثم نظرت إليهم واحدًا تلو الآخر، وضغطت على شفتيها طويلا، فمرت في مرح رعدة قوية ونظرت إليها باكية متألمة، ليؤثر كل هذا في برهان، الذي ترقرقت عيناه لإحساسه بمفارقتها الحياة.

توقفت ساعة الزمن.. وصمت الكون!! لقد حان وقت الرحيل، واقتربت النهاية!! و حان الفراق !

هذه هي الدنيا كما قالوا.. "لقاء ففراق"

الحياة التي كان عنوانها "الدنيا..."

شعارها المحبة... الوفاء وسطورها السلام

ولكنها انقضت وحانت "ساعة صافرة الموت الموت الرهيب

مرح لقد خنقتها مخالب الفراق الوداع الأخير

..من جديد تودع الأحبة والأخلة تتكرر المأساة المرة وتبصم على الذاكرة

والكل صامت إلا الدموع وما أقصر الحياة

عاشت مرح بين الأحياء نظرة أسى وحزن وبعاد

ليس هناك واقع سوى ما ندرك.....

وارت سهير نحبها، و اقترب الطبيب المعالج وسط الصراخ عليها، ليؤكد موتها بقوله:

"البقية في حياتكم، لقد فعلنا كل ما بوسعنا لإنقاذها والله يفعل ما يريد "

ما حدث في الأقصر، أعاد إلى الأذهان أساليب القتل، التي باتت حكراً على خلايا الإجرام النامية، أو تلك التي تتحرك بأوامر خارجية، لا لهدف سوى تدمير الشعب العربي المصري، وإشاعة أجواء من القلق والتوتر واستغلال كل ظرف من الظروف، لإرسال رسالة للجميع تقول "أن الإرهاب هو سيد الموقف"، وأن لا طريق إلى الديمقراطية، سوى بقرار يقوم على قتل الناس والفتك بحياتهم.

إن من يقفون وراء مثل هذه الجرائم النكراء، يتسمون ببصيرة عمياء مجردة من أية ضوابط أخلاقية، أو مبادئ قيمية، لأنهم جعلوا أهداف جرائمهم الناس البسطاء والمواطنين العاديين الكادحين، والذين ربما لا يعرفون شيئا عن الشعارات التي ترفعها الجماعات لتبرير اعتداءاتها الوحشية.

فكان على جميع المصريين رفض هذا الأسلوب وإدانته بشدة، وليس فقط بالكلمات بل بكل أرواحهم، فإن ضحايا الإرهاب المواطنين، هم معظمهم من المصريين المتدينين المسلمين.

قال الله تعالى:﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ (الآية ٢٢ ــ آل عمران)

إن هذه الأعمال الشنيعة لا علاقة لها بالإسلام، ولا يمكن اتهام الإسلام وعقيدته السمحة بها، فالإسلام دين سلام وتسامح وتعايش بين الحضارات، كما أن الإرهاب لا دين له ولا ملة ولا هوية، وضحاياه من كل الأديان، فلا يمكن أن نقبل بإشارة أصابع الاتهام في كل مكان وزمان على المسلمين.

فمن الجرم المشين محاولة اتهام الإسلام بالمسئولية، عن تصرفات بعض المتطرفين الجاهلين لدينهم، ويجب أن يكون هذا واضحا منذ البداية، لتجنب الإساءة إلى دين عظيم كالإسلام.

الرجل المستتر يعود من جديد

مرح استقبلت الرجل المستتر من جديد في منامها، فأخذت تبكي متمنية الوصول إلى صدره العريض، فتحتضنه هي وتتعلق بأكتافه..، التي كانت تمتلئ من نثر فوقه باللآليء والنجوم.....!؟ التي أنارته.

التفت حولها لترحب به وكانت بسمته لا تفارق وجهه.. فأحبت أن تعبر له عن سعادتها للقائه....، فلم تجد في ذاكرتها أية عبارة صالحة للتحية..، وأرادت أن تبتسم في وجهه، فامتنعت شفتاها عن الانفراج.. وأجهشت فورا بالبكاء...!

مما جعل الرجل المستر يتساءل عن ذلك، لتخبره أن أيادي الإجرام أيضا استفحلت بخالتها البريئة، التي راحت ضحية أخرى من ضحايا الأبرياء من أجانب ومصريين ووطنيين، و حدثته عن استمرار أعمال العنف والقتل في الجزائر، و ازدياد عددها الذي يتضخم كل يوم، فما ذنب هؤلاء.....؟؟؟؟

ثم تقدم منها، وهو يربت على كتفها، ونظرت إلى وجهه الذي لا يكاد يبرز لشدة النور اللامع منه قائلا:

! بالفعل إنك..! يا ابنتي..! تحملت الكثير، اطمئني تماماً..إنك الآن لن تري أبدا مثل هذه الأفعال، فإني اقتربت بالمجيء.. بإذن من الله تعالى".

فردت مرح: "متى وكل يوم تعدني...؟؟، وتتهرب من ذكر هويتك لي، أو لن تبين لي وجهك، الذي لطالما تمنيت أن لا أرى ملامحه البعيدة المغطاة، بالنور من بعيد، أخبرني لم..لم...؟؟؟؟

بينما كانت تهمس في نفسها:"لماذا هو هنا إذن..؟"فقال الرجل المستتر:

"تريثي يا بنيتي، ليس بهذه السهولة الذي تضنيها، إني أواجه من يمنعوني للمجيء، فمتى تسنت لي فرصة التغلب عليهم سأسبق الزمن بسرعة البرق، لإنقاذ أبناء بلادي من أنقاض الخراب.الهشيم، الذي تذروه الأعداء مع الرياح.....، لتترك بصماتها على أبناء وطني.....!فمازالت في مشاعر حبي للوطن النابضة، التي قد تجمعني بذاتي تقربني من نفسي، وتفتح لي أفقا مغريا، لمواجهة المصاعب التي تشق طريقي كلما تقدمت بخطوة واحدة نحو الأمام، فتعيدني إلى حيث كنت لأبحث عن طريق آخر لا أجد فيه هذه الصعوبات، أو لعلي أنجح في هزم من يشقون طريقي للتحاور مع الأمل..، و محاولة استعادة الأمن والسلام في نفس العباد والبلاد.....!؟، وساعة إشراق شمس الاستقلال في الجزائر، يتحوّل الحلم الذي بداخلي إلى حمامة لها جناحين، تخرج من قلبي..لترفرف وتحوم على كل شبر من وطني، لتتوقف عليها مخلفة بصمة من بصمات الفرح والسعادة والأمل، ترتسم على كل واحد من أبناء وطني الغالي لتترك أجمل بسمة على شفاه كل صغير وكبير..... ثم انصرف..... واستيقظت مرح تنادي عليه:"لا تذهب.....عد..."لتجد الدموع في عينيها.....

صرخة تائب

بعدما تمت جنازة سهير وقف برهان على إعادة فكره إلى الـــصواب، فلـــم الـــسبيل للخروج من بؤرة الفساد التي كادت أن تودي بعقله النير، إلى ما لا يحمد عقباه.

فقد أعاد النظر من إسلام التطرف المزعوم الذي غرس في مخيلته، إلى دين السماحة والعدل والإنسانية والرحمة، ليجد نفسه أنه كان في حلقة دائرية تحيط به نار ملتهبة، لا يخرج منها إن لم يطفئها.

و لكن الله تعالى هداه إلى الصواب، بعد عزمه على معرفة الإسلام الحقيقي وسعيه في التوبة والهداية، فقد تاب وعدل عن الجماعات التي كان يتبعها وأبلغ عنهم وقبض عليهم، وكان ضمنهم فردوس وزوجها، وقد دخل السجن بعد ذلك مستفيدا من التخفيف.

لكن الفاجعة استمرت حين توفى لؤي الطالب في الجامعة ابن بهية، المتميز بطيـــشه وإسرافه الكثير للنقود، في حادث مرور بسيارته لإسرافه في الشرب.

أما ندى الطالبة في كلية الهندسة، تميزت بطيبة قلبها التي تعارض، أمها دائمـــا لمـــا ترتكبه من أخطاء، لهذه اللحظة لتمرض هي الأخرى بداء السرطان، و لحسن حظهـــا كـــان ذكريا، مما ساعد ذلك على إنقاذها.

جعلت بهية هذه الأحداث، تتغير بشكل ملحوظ في تعاملاته مع أبناء الجد محمـــود أو الآخرين أو اتجاه مرح، التي قاست هي الأخرى بدورها منها أقسى المعاملات، لتندم على ما سببته لها وللباقين، و من أفعالها الشريرة التي عاقبها بها الله بأن تفقد ابنها الغالي عليها، وينقذ الله ابنتها من مرض خطير.

الرحيل

لم يكن باستطاعة مرح سوى البكاء على من فقدتهم واحدًا تلو الآخر، لتنطلق من أوحال الدنيا التي عذبتها منذ صغرها، و منذ كل هذه السنوات التي كل يوم تتردد إلى أسماعها، ما يفعله المجرمون بالأبرياء في كل مكان، ليبرز على وجهها الماضي التعس .

وبعد حصولها على شهادة الباكالوريا في عام ١٩٩٩ بتقدير بدرجة أولى ، اتصلت بها العمة زهية القاطنة بأمريكا، لسماعها خبر نجاحها وطلبت منها الانتقال عندها للعيش هناك، واستكمال تعليمها في الجامعة الأمريكية.

و في أواخر عام ١٩٩٩ واقتراب دخول الألفية الجديدة لعام ٢٠٠٠ م، قررت مرح هجر البلاد انتقالا من العالم العربي إلى العالم الغربي، الذي كانت تظن أنها ستجد السلام هناك أكثر من بلديها العزيزين الجزائر ومصر، خاصة بعد أن قدم الرجل المستتر نو برز من خيوط الرؤية في منامها إلى خيوط الرؤية الحقيقية في الواقع .

أحداث سياسية أخرى في الوطن: قدوم الرئيس عبد العزيز بوتفليقة:

في ديسمبر ١٩٩٨ أعلن عن نية الدخول في المنافسة الانتخابية الرئاسية بصفته مرشحا حرًّا. وانتخب في ١٥ أبريل ١٩٩٩ رئيسا للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

المرسوم الرئاسي لتخفيض عقوبات السجناء:

بمناسبة الذكرى السابعة والثلاثين لاستقلال الجزائر يوم ٥ يوليو/تموز ١٩٩٩، صدر مرسوم رئاسي (المرسوم رقم ٩٩-١٣٣) يخفض عقوبات السجناء المدانين بموجب قانون "أعمال الإرهاب والتخريب".

صدر هذا القانون كمرسوم بموجب حالة الطوارئ في سبتمبر/أيلول ١٩٩٢.

وبموجب هذا المرسوم أُفرج عن "الأشخاص المحبوسين الذين يساوي باقي عقوباتهم خمس سنوات أو يقل عنها"، وخُفضت عقوبات الباقين عدا "الأشخاص المحكوم عليهم بسبب ارتكابهم جرائم أدت إلى وفاة شخص أو أشخاص"، و"الأشخاص المحكوم عليهم بسبب ارتكابهم جناية هتك العرض"، و"الأشخاص المحكوم عليهم بسبب ارتكابهم جرائم الاعتداء بالمتفجرات في الأماكن العمومية أو الأماكن التي يتردد عليها الجمهور"، و"الأشخاص الذين حكمت عليهم المحاكم العسكرية".

غير أن هذه الإجراءات شملت زهاء خمسة آلاف سجين، حسب ما صرح به بعض المسئولين الحكوميين، وقد رحبت منظمة العفو الدولية بهذه الخطوة لأنها تعتبر أن هؤلاء

السجناء لم يحصلوا على حقهم في إتباع إجراءات قانونية عادلة، وكانت تدعو إلى إعادة محاكمتهم بما يتماشى مع المعايير الدولية للمحاكمة العادلة.

لاحظت منظمة العفو الدولية أن عدد الأشخاص الذين يُوضعون رهن الاحتجاز السري لفترات مطولة قد قلَّ بصورة ملحوظة، ورحبت بهذا التطور الإيجابي.

كما لاحظت المنظمة باهتمام إعلان السلطات الجزائرية، في أغسطس/آب ٢٠٠٠، أن بعض الخطوات قد اتُخذت على مستوى وزارات العدل والداخلية والدفاع الوطني بهدف تعزيز إشراف القضاء على عمل الموظفين المكلفين بتنفيذ القانون. وسيتم هذا من خلال جعل الفحص الطبي للمعتقلين في نهاية فترة التوقيف للنظر إلزامياً (إلا في حالة رفض المحتجز).

وتحديد الأماكن التي تحتجز فيها قوات الأمن المختلفة المعتقلين قبل عرضهم على السلطات القضائية. **إستراتيجية الرئيس عبد العزيز بوتفليقة:** الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، حال توليه مهامه، أكد عزمه على إخماد نار الفتنة وإعادة الأمن والسلم والاستقرار، بعد أن كانت الجزائر معزولة سياسيًّا وتتعرض للمقاطعة الدولية، فدخل الرئيس للعمل الموازي في إعادة مكانة البلاد الدولية التي كانت تحظى بها سابقا في الميدان، وتفوق في تحطيم عزلتنا على الساحة الدولية التي أجهد نفسه إذن في "تحسينها "وأحيا الصداقات القديمة، بفضل الوعود التي منحها للجزائريين بتخليصهم من هذه الأزمة وفكها، فالجزائر كانت على حافة الإفلاس، بتقديم دعم مالي ضخم الجرعة من الأكسجين ستدفع إلى إنقاذ الجزائر من سنة ١٩٩٤.

قد عرف هكذا فخامة الرئيس بوتفليقة، تهدئة إثارة هيجان القتل بكيفية لم يسبق لها مثيل، بعد تلك السنوات التي خلفت آلاف الضحايا من المدنيين.

وعلى الصعيد الدولي، استعادت الجزائر تحت إشراف الرئيس بوتفليقة وبدفع منه دورها القيادي، حيث يشهد على ذلك دوره الفعال الذي ما انفك يتعاظم على الساحة القارية، في إطار الإتحاد الإفريقي والشراكة الجديدة من أجل تنمية إفريقيا (نيباد)، التي كان الرئيس الجزائري أحد المبادرين بها، وتشنع ضد أعمال المجرمين التي يقومون بها، وقام بهذه المبادرة لحل الأزمة الجزائرية.

الرئيس بوتفليقة تأتى له الشروع، على المستوى الداخلي، في برنامج واسع لتعزيز دعائم الدولة الجزائرية، من خلال إصلاح كل من هياكل الدولة ومهامها، والمنظومة القضائية والمنظومة التربوية، واتخاذ جملة من الإجراءات الاقتصادية الجريئة شملت، على وجه الخصوص، إصلاح المنظومة المصرفية قصد تحسين أداء الاقتصاد الجزائري K مما مكن الجزائر من دخول اقتصاد السوق، واستعادة النمو ورفع نسبة النمو الاقتصادي.

كما قرر رئيس الجمهورية خلال عهدته الأولى، ترسيم الاعتراف بتمازيغت كلغة وطنية.

من هنا لكي يؤسس فخامة الرئيس عبد العزيز بوتفليقة الجمهورية الجزائرية الجديدة، ويطوي صفحة الماضي، حدد مسارا واضحا تجاه كل المشكلات، التي واجهت البلاد منذ مطلع تسعينات القرن الماضي، فقد انتشل الجزائر من حافة الحرب الأهلية، الذي كانت له طريقة مثيرة وعقلانية وحنكة، في التعامل مع هذه الأزمة التي لم يستطع أحد إخماد نارها، فكانت الجزائر أشبه بالفريسة، التي يتصارع عليها الذئاب من كل جهة، محيطين بها، فأبعدت هاته الذئاب بقدوم الرجل الأسد، فهي **أول خطوة** قام بها فخامته.

و ثانيها: داوى الجراح والآلام، التي كانت الجزائر لا تستطيع تضميد جروحها مما أصابها من الذئاب.

و ثالثها:إخماد نار الفتنة بين بني الجلدة.

رابعها:تخفيض مديونية الجزائر من جهة، ومن جهة أخرى تولى خراب الاقتصاد الوطني، الذي تدهور جراء تلك العمليات الخطيرة التي كانت خلال سنوات ٩٣ و٩٤ و١٩٩٥.

وبلغت ٧١٠ عمليات خربت فيها ٣٦٣٠ مؤسسة، قيمة خسائر الحرب الأهلية الدائرة منذ أكثر من سبع سنوات في الجزائر قد تجاوزت نحو ٣٨,٤ مليار دولار.

وهو ما يعني وصول خدمة الدَّين وخسائر الحرب الأهلية لنحو ١٠ مليار دولار سنويًا.

وهو رقم يزيد عن قيمة صادرات البلاد من النفط والغاز لعام ١٩٩٨، والتي لم تتجاوز مبلغ ٩,٧٥ مليار دولار.

ومما يزيد الأوضاع الاقتصادية صعوبة، أن إيرادات الطاقة تشكل نحو ٩٦%، من إجمالي صادرات البلاد ودخل الخزينة، ومعروف أن الميزانية الجزائرية تعتمد بشكل رئيسي، على قيمة الصادرات كأهم مواردها.

وتفيد قراءة المؤشرات الاقتصادية في الجزائر، أن أهم المشكلات والصعوبات التي يعاني منها الاقتصاد الجزائري، والتي انتقلت إلى الألفية الجديدة تتمثل فيما يلي:- استمرار ارتفاع عجز الموازنة لعام ٢٠٠٠ إلى نحو ٦,٣% من الناتج المحلي الإجمالي المستهدف، والبالغ نحو ٥٣ مليار دولار، وذلك للعام الثالث على التوالي.

فقد بلغ العجز في العام الماضي ١٩٩٩ نحو ٢,٨٣ مليار دولار، أي ٥,٠٤% من إجمالي الناتج الذي بلغ نحو ٥٦,١٤ مليار دولار.

وكان العجز في عام ١٩٩٨ نحو ٣,٩%، فيما تم عام ١٩٩٧ تسجيل فائض بلغت نسبته نحو ٢,٤%، من إجمالي الناتج المحلي الإجمالي.

– انخفاض احتياطي البلاد من العملات الأجنبية، عام ١٩٩٩ بنسبة ٣٢%، أي بمقدار ٢,٢ مليار دولار عن عام ١٩٩٨.

فاستنادًا إلى تقرير أعده المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي الجزائري، أن احتياطي العملات الصعبة في الجزائر انخفض من ٦,٨ مليار دولار، عام ١٩٩٨ إلى ٤,٦ مليار دولار خلال عام ١٩٩٩.

وأوضح التقرير أن مستوى احتياطي العملات الأجنبية كان قد استقر في نهاية ديسمبر ١٩٩٧، عند ثمانية مليارات دولار.

وجاء في التقرير أن الميزان التجاري سجَّل، بالرغم من ذلك فائضًا بقيمة ٤٦١ مليون دولار، خلال النصف الأول من العام الماضي ١٩٩٩، نتيجة ارتفاع أسعار النفط، بعد تخفيضات على الإنتاج أقرتها الدول المصدرة.

استمرار الجزائر كأكبر دولة، مدينة في شمال إفريقيا، وفيما لا تتوفر أي أرقام أو بيانات عن حجم ديونها الداخلية، فإن ديونها الخارجية تبلغ ٣١ مليار دولار.

وهي من الديوان ذات الخدمات المرتفعة، لذلك فقد ترتب على الجزائر أن تدفع أموالاً طائلة، لخدمة هذه الديون وتسديد بعضها.

واستنادًا إلى وزير المالية الجزائري عبد الكريم حرشاوي، فقد بلغت قيمة الدين الخارجي نهاية عام ١٩٩٩ نحو ٢٨,٥ مليار دولار، متراجعًا من ٣٠,٤ مليار دولار عام ١٩٩٨.

ويؤكد المسئولون أن الجزائر دفعت في الفترة من ١٩٩٣– ١٩٩٨ نحو ٣٨ مليار دولار، من مستحقات خدمة الديون، ويجب على الجزائر أن تدفع ٣٨,٥ مليار دولار لخدمة ديونها الخارجية.

استمرار الزيادة في أعداد الجزائريين، الذين يعيشون تحت خط الفقر، فاستنادًا إلى تقرير صادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي فإن عدد الجزائريين، الذين يعيشون تحت خط الفقر يبلغ أكثر من سبعة ملايين شخص، يقل دخل الواحد منهم عن دولارين في اليوم.

– استمرار الزيادة في عدد الأميين، فاستنادًا إلى آخر الإحصاءات فإن هناك نحو ٧ ملايين جزائري من الأميين، أي أن نسبة الأمية تبلغ نحو ٢٤,١٣% من عدد السكان البالغ ٢٩ مليون نسمة، وتعتبر الأمية إحدى معوقات النمو الاقتصادي.

– تفاقم مشكلة البطالة؛ حيث يوجد في الجزائر جيش من العاطلين عن العمل، يبلغ قوامه ١,٥ مليون شخص، ولعل الخطر الكامن وراء مشكلة البطالة أن هؤلاء العاطلين ينتمون

إلى جيل الشباب، الأمر الذي اعتبره الكثيرين أسبابه تعود، لما شهده الـــوطن فـــي تخريـــب المؤسسات والممتلكات العمومية والخاصة.

تلك هي بعض الصعوبات الاقتصادية، التي تم تضافر جهود جميع أبناء الجزائر فـــي إعادة إعمار الوطن وتنميته.

حتى لا تترسخ الأزمة الاقتصادية، التي تعود على النسيج الاجتماعي بالمزيـــد مـــن التدهور، الذي يقود إلى مزيد من الأزمات الاقتصادية والاجتماعية.. وهكذا تجد البلاد نفـــسها في دوامة لا تستطيع الخروج منها.

تحدي الأزمتين

وجد فخامة الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، أنه ليس بين الإرهابيين فقط، و بل نار أخرى لأزمة القبائل، التي شبت آنذاك بأعمال العنف في منطقة القبائل، بين متظاهرين من البربر وقوات الشرطة الجزائرية.

وشملت المواجهات مدن تيزي وزو وبجاية وتازملت، وقام المتظاهرون بأعمال تخريبية في مبان حكومية، واقتلعوا أعمدة الكهرباء وأقاموا الحواجز في الطرقات وأحرقوا الإطارات. ورشق المتظاهرون قوات الأمن والسيارات المارة في المنطقة بالحجارة.

وقامت قوات الأمن بإطلاق القنابل المسيلة للدموع، لتفريق المتظاهرين. ونشرت تلك القوات شاحنات وصهاريج مياه لحماية المباني الحكومية، من أعمال التخريب التي يقوم بها المتظاهرون.

وقد أغلقت المتاجر والمدارس أبوابها، وامتلأت الشوارع بالنفايات والحجارة، وكان طلاب المدارس في مدينة بجاية قد نظموا مظاهرات سلمية، لكن قوات مكافحة الشغب فرقتها.

وفي مدينة تازملت الواقعة على بعد نحو ٦٠ كلم غربي بجاية أحرق المتظاهرون منزل رئيس البلدية.

وذكرت الصحف الجزائرية أن مواجهات في منطقة القبائل أسفرت عن مقتل أربعة متظاهرين، كما قتل رجل من قوات الأمن في بلدة بوزقين قرب تيزي وزو.

وكانت أعمال العنف في منطقة القبائل اندلعت بعد مقتل أحد الطلاب داخل مقر لقوات الأمن قرب تيزي وزو في ١٨ أبريل/ نيسان، وأسفرت تلك المواجهات عن مقتل ٤٢ شخصا، وجرح أكثر من ٥٠٠ آخرين حسب حصيلة رسمية، ومصرع ما بين ٦٠ و٨٠ شخصا بحسب مصادر الصحافة والأحزاب. ويطالب المتشددون من البربر بالاعتراف بلغتهم الأمازيغية لغة رسمية ووطنية.

تعهد الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة بمعاقبة المتسببين في الاضطرابات التي تشهدها منطقة القبائل منذ عدة سنوات، ودعا أثناء كلمة ألقاها في احتفال ديني أقيم في الجزائر العاصمة، إلى ضبط النفس واحترام القوانين والتوقف عن إراقة الدماء.

وأكد الرئيس بوتفليقة في كلمته على ضرورة، إنزال عقوبات شديدة "في حق المتسببين في هذه الأحداث المؤسفة، ومرتكبي التجاوزات مهما كانت مواقعهم".وقال إن العقوبات ستتخذ استنادا للنتائج التي ستتوصل إليها اللجنة الوطنية المكلفة بالتحقيق في تلك الأحداث، والتي يترأسها الخبير القانوني مهند إسعاد المنحدر من أصول قبائلية، وأكد استقلالية اللجنة في عملها.

ودعا الرئيس الجزائري بوتفليقة، إلى ضبط النفس واحترام القوانين، وأعرب عن أمله في أن "تتوقف إراقة الدم الجزائري سواء كان دم المواطنين أم موظفي الدولة"، وتساءل عن جدوى تدمير الممتلكات العامة.وتطرق بوتفليقة أيضا إلى اللغة الأمازيغية، ووعد بأخذ القضايا الثقافية واللغوية بعين الاعتبار أثناء عملية تعديل الدستور، و كان يطالب الأمازيغ بمنطقة القبائل بأن يقر الدستور اللغة الأمازيغية لغة رسمية على غرار اللغة العربية، أن الهوية الأمازيغية جزء من الهوية الوطنية الجزائرية مع الهوية العربية الإسلامية.

السلام أولا

قال بوتفليقة مفسراً أسباب مطالبته أهالي المختفين بالتحلي بالصبر، "علينا أن نسعى أولاً لإقرار السلام والأمن...، إذا حاولنا معالجة كل المشاكل دفعة واحدة فسنضل طريقنا".

الرئيس عبد العزيز بوتفليقة كان مدركًا لطبيعة تعقيدات الوضع الجزائري، فقد تولى الأزمتين معا من جهة، لينجح في إخماد نارهما التي كانت ستؤدي حتما بالجزائر وبشعبه، إلى الهاوية لا محال بدونه.

و في إطار حرص الرئيس بوتفليقة، على توسيع دائرة العفو لتشمل من بقي حاملاً للسلاح، تمكَّن من حسم ملف العمل المسلح بشكل تامّ ونهائي. باعتبارها العلاج اللازم للأزمة الجزائرية، التي طال التخبُّط في أوحالها..

و من جهة أخرى، إعادة المكانة الدولية للبلاد وسط جميع بلدان العالم، الذي تركنا في عزلة دولية، فقد أرسله الله تعالى منقذًا للبلاد والعباد، من الفتن والفساد، ما أعظم خطواته النبيلة التي قام بها.

مشرع الوئام المدني:

لقد باشر في سبيل ذلك مسارًا تشريعيًّا للوئام المدني، حرص على تكريسه وتزكيته عن طريق، استفتاء شعبي نال فيه مشروع الوئام أزيد من ٩٨ % من الأصوات، فقد جاب الرئيس بوتفليقة البلاد طولاً وعرضاً، ومن أقصى الشمال إلى أقصى الصحراء في الجنوب، وألقى عشرات الخطب في تجمعات حاشدة.

وقطع الشك باليقين بالنسبة لعشرات القضايا العالقة والأسئلة المطروحة يندرج في سياق عام من الخطوات الرامية إلى تضميد الجراح، وكفكفة الدموع، والتي التزم بها الرئيس الجزائري، منذ وصوله إلى الحكم في ربيع عام ١٩٩٩، فبعد عام واحد من انتخابه استهل ولايته الأولى بإقرار قانون "الوئام المدني"عام ٢٠٠٠، يعد أول استفتاء أسفر عن نزول نحو ستة آلاف مسلح من الجبال، وانخراطهم في حياة المجتمع من جديد.

قانون الوئام المدني والعفو الرئاسي:

صدر "قانون الوئام المدني"(القانون رقم ٩٩-٠٨) ودخل حيز التنفيذ يوم ١٣ يوليو/تموز ١٩٩٩ بعد أن أقرته الحكومة، ثم "المجلس الشعبي الوطني"(البرلمان)، ومجلس الأمة.

وبعد شهرين طُرح القانون أيضاً في استفتاء عام يوم ١٦ سبتمبر/أيلول ١٩٩٩، حيث لاقى، وفقاً لجميع التقديرات الرسمية وغير الرسمية، تأييداً شعبياً واسع النطاق.

كان السؤال المطروح في الاستفتاء والذي يمكن للناخبين الإجابة عنه بنعم أو لا هو: "هل أنتم مع مسعى رئيس الجمهورية المتعلق باسترجاع السلم والوئام المدني؟"

وقد أثار القانون جدلاً عاماً محتدماً في جميع دوائر المجتمع المدني الجزائري، وتزايدت إلى مستوى لم يسبق له مثيل الآمال في أن يكون السلام قد بات أخيراً في متناول اليد.

وليس موضوع هذه الوثيقة تقييم أو تحليل الاعتبارات السياسية التي أدت إلى صدور "قانون الوئام المدني"وآثاره السياسية، إذ يخرج ذلك عن نطاق عمل وصلاحيات منظمة العفو الدولية.

وبمقتضى هذا القانون يتمتع أعضاء الجماعات المسلحة الذين سلموا أنفسهم للسلطات خلال ستة أشهر (بدءاً من ١٣ يوليو/تموز ١٩٩٩)، ولم يرتكب أي منهم أو يشارك في "أية جريمة أدت إلى قتل شخص أو سببت له عجزاً دائماً أو اغتصاباً أو لم يستعمل متفجرات في أماكن عمومية أو أماكن يتردد عليها الجمهور"بالإعفاء من المتابعة القضائية".

أما من ارتكبوا مثل تلك الجرائم أو شاركوا في ارتكابها فتُخفف الأحكام الصادرة عليهم، في هذا الصدد تماثل مواد "قانون الوئام المدني"إلى حد بعيد مواد "قانون الرحمة"الصادر في ٢٥ فبراير/ شباط ١٩٩٥ (القانون رقم ١٢-٩٥).

والذي أُلغي بصدور "قانون الوئام المدني". ومن أوجه الاختلاف الأساسية بين القانونين الحد الزمني الذي يبلغ ستة أشهر "لقانون الوئام المدني"الذي بدأ سريانه في ١٣ يوليو/تموز ١٩٩٩ وانقضي أجله يوم ١٣ يناير/كانون الثاني ٢٠٠٠.

وتُخفف بصورة أكبر لمن يستسلمون خلال ثلاثة أشهر. كما استبعد القانون عقوبة الإعدام أو السجن مدى الحياة لأعضاء الجماعات المسلحة الذين سلموا أنفسهم خلال مهلة الأشهر الستة بغض النظر عن الجرائم التي ارتكبوها.

ولما كان هذا القانون محدوداً زمنياً بمدة ثلاثة أشهر، فلا يمكن لأعضاء الجماعات المسلحة الذين يسلمون أنفسهم بعد انقضاء العمل به في ١٣ يناير كانون/الثاني ٢٠٠٠ الاستفادة من تخفيف العقوبات أو الإعفاء من المتابعة القضائية، ومن ثم يُعاملون بموجب المواد العادية في القوانين الدائمة.

وينص القانون على أن بوسع الراغبين في تسليم أنفسهم بموجب "قانون الوئام المدني"الحضور أمام السلطات المختصة سواء العسكرية، أم المدنية، أم الإدارية، أم القضائية التي تقرر ما إذا كان الشخص سيُعفى من المتابعة القضائية أم سيُقدم للمحاكمة.

وبالإضافة إلى ذلك، يشتمل القانون على مواد خاصة "بالوضع رهن الإرجاء"الذي يُطبق بصورة اختيارية ويعني "التأجيل المؤقت للمتابعات خلال فترة معينة بغرض التأكد من الاستقامة الكاملة للشخص الخاضع لها".

ولهذا الغرض تؤسس في النطاق الإقليمي لكل ولاية لجنة إرجاء يرأسها النائب العام المختص إقليمياً وتضم ممثلاً عن وزير الدفاع الوطني، وممثلاً عن وزير الداخلية، وقائد مجموعة الدرك الوطني للولاية، ورئيس الأمن الولائي، ونقيب المحامين أو ممثله المؤهل.

استسلام أعضاء "الجيش الإسلامي للإنقاذ"و"الرابطة الإسلامية للدعوة والجهاد"والعفو عنهم:

وتفيد المعلومات المعلنة، والتي قدمتها أو أكدتها مصادر حكومية رسمية لوسائل الإعلام والمنظمات غير الحكومية، أن قرابة ٦٠٠٠ من أعضاء الجماعات المسلحة سلموا أنفسهم في الفترة من يوليو/تموز ١٩٩٩ إلى يناير/كانون الثاني ٢٠٠٠، ويضم هؤلاء ما يزيد على ألفٍ من أعضاء "الجيش الإسلامي للإنقاذ"و"الرابطة الإسلامية للدعوة والجهاد"الذين استفادوا من العفو الرئاسي.

أما الباقون فهم من "أعضاء الجماعة الإسلامية المسلحة" الرابطة الإسلامية للدعوة والجهاد وغيرها، من الجماعات المسلحة الذين عوملت حالاتهم بموجب مواد "قانون الوئام المدني".

وتردد أن صراعاً مسلحاً بدأ عام ١٩٩٥ بين مجموعات "الجيش الإسلامي للإنقاذ" و"الرابطة الإسلامية للدعوة والجهاد"من ناحية وبين مجموعات "الجماعة الإسلامية المسلحة"وجماعات مسلحة أخرى من ناحية ثانية.

وكانت المجموعات التابعة "للجيش الإسلامي للإنقاذ"وتلك التابعة "للجماعة الإسلامية المسلحة"في أنحاء البلاد المختلفة تتعاون بدرجات متفاوتة حتى عام ١٩٩٤ بل ومن المحتمل حتى عام ١٩٩٥.

وقد أعلن "الجيش الإسلامي للإنقاذ وقفاً لإطلاق النار من جانب واحد في أول أكتوبر/تشرين الأول ١٩٩٧ في أعقاب اتفاق سري تفاوض عليه زعماؤه مع الجيش الجزائري في الشهور السابقة.

ومنذ ذلك الحين سلَّم مئات آخرون أنفسهم، للاستفادة من كل مواد قانون الوئام المدني أو بعضها.

وتشير الأنباء المتواترة عن السماح لأفراد أو مجموعات من الأفراد الذين سلموا أنفسهم بعد ١٣ يناير/كانون الثاني ٢٠٠٠ بالعودة إلى منازلهم على الفور أو بعد قليل من

تسليمهم أنفسهم إلى أن مواد "قانون الوئام المدني"طُبقت بعد انقضاء أجل العمل بالقانون، بل وكان تطبيقها سارياً وقت كتابة هذا التقرير.

و كان الميثاق يفتح الباب واسعاً أمام عودة عشرات الزعامات المعارضة من الخارج، وأمام توبة المسلحين الذين ما زالوا في الجبال، بعد أن طرح تعديل دستور البلاد.

ووصف الرئيس بوتفليقة سياسة الوئام بـ«أول جرعة»، يقدمها للجزائريين تداوي جراحهم.

الرجل المستتر هو بطل جديد: أشار عبد العزيز بوتفليقة إلى مصير الوطن "تحويل الجزائر إلى "تنين"إفريقيا والعرب ".

فخامة الرئيس عبد العزيز بوتفليقة هو بطل جديد ظهر على الساحة السياسية فإن التاريخ يشهد له ذلك، و الشعب الجزائري يدين له هذا العمل البطولي، في إنقاذ البلاد وإبادة هذه العمليات الوحشية البعيدة، عن تعاليم الله ورسالة الإسلام لسمحة.

فقد كان وقوفه بجانب المظلومين الأبرياء الذين قتلوا ظلما، بحل مشكلة التطرف والإجرام ، من خلال البرامج التي اعتمد عليها في سياسته المكثفة لأجل بيان ماهية الدين وحقيقة الإسلام، الذي ليرضى حتى بقتل أهل الكتاب، الذين يعيشون في البلدان الإسلامية، ولا يسمح بقتل الشيوخ والنساء والأطفال.

هذه الفئة الضالة عن الإسلام، وعن الله وعن دينه القويم، نزعوا الروح الإنسانية عن أنفسهم، أصبحوا كالخرفان الضعيفة بعد أن كانوا ذئابا، فما أن قدم إليهم الرجل الأسد، وقف تغلغلهم في صفوف أبناء الوطن، وفي مؤسساتها ووزاراتها ومدارسها ومراكزها الثقافية، ومساجدها ومؤسساتها الخيرية، حمى بذلك الأطفال والنساء والشيوخ، والمواطنين كلهم والأبرياء.

فقد اتخذ التدابير اللازمة، كي لا تكرر أعمالهم الإجرامية من جديد، بوضع نظاما أمنيا عاليا راقيا، تعامل معها بحزم لتنعم البلاد، بالأمن والأمان والرفاهية، والعيش الرغيد والحرية.

كان استقلال الجزائر من الأزمة، قبل قدوم فخامة الرئيس عبد العزيز بوتفليقة أطال الله في عمره وحماه دوما، يعتبر مجازا ووعود زائفة مساقة من الظلمة، كالأعمى الذي لا يبصر ، لإنهاء هذه المجازر التي يبتز بها الشعب الجزائري كله، الذي هو جهاز واحد وعنصر قوة وبناء.

فلقد أخطأت الجماعات عندما اعتقدت، أن حياة الجزائر مرتبطة بقوة السلاح، لإقامة الدولة الإسلامية المزعومة.ففخامة الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، الذي قدم بمفاهيم منطقية

وذكية وبحلول حقيقية لكل شيء، عرف الشعب معنى المصالحة على الظلم والعفو بالقابليـــة، لحفظ كرامة الإنسان بقيم العدل والحرية، مكانها في إدراك الناس وشعورهم.

بوتفليقة تعهد بوضع حد للازمة التي طال أمدها:

الجميع يعرفون أن وعيد الرئيس الكلامي، الذي يترتب عليه عمل ينفع الجزائر، هـــو استجابة لرغبة الشعب الجزائري، في الرد المناسب على الانتخابات وعلى المـــصادقة علـــى الوئام المدني.

ولذلك فإنه أصبح من العبث والحماقة الاستمرار، في محاولة ترويض الجزائر علـــى المشي على رأسها، والسكوت على هذه المهزلة المرعبة، فضلا عن المساهمة فيها تحـــت أي مبرر.

الرئيس بوتفليقة بفضل تعاونه المخلص والشجاع، على قطع كل يد تمتد إلى المواطن الجزائري، و تهديم كل مراكز الاغتصاب والقتل والإرهاب، التي لا رجعة فيهـــا، أرغمـــت الجماعات بوضع السلاح والاستسلام والانسحاب، و هدم القافلة الإجرامية التـــي مارســـوها، ليستفيقوا من سكرتهم، و هذا ما ساعد الشعب، بأن يتجاوز محنته لينهض من جديد، و لتستعيد البلاد مكانتها الدولية.

فكان هدف فخامة الرئيس هو إعادة السلام والأمان داخل البلاد، وإصـــلاحها ونـــزع الأحقاد والكراهية من القلوب، بفضل ما يمتلكه من الشرعية التاريخية.

فهو مقاتل وهب للثورة شبابه منذ بدايتها، فضلا عن ذلك فقد ارتبط اسمه بالعـــصر الذهبي، الذي عاشته الجزائر أثناء فترة حكم الرئيس بومدين، ويثير هذا العهد لدى الجزائريين حنينًا كبيرًا، لأنه يرمز إلى القوة، فبلدهم كان يشار إليه عبر العالم بأنه «بلد المليون ونـــصف المليون شهيد»، و«قبلة الثوار الأفارقة».

الخفافيش انهزمت:

على قول فخامة الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، لم يبق أمام هؤلاء إلا حـــلان إمـــا أن يتوبوا ويخضعوا لقانون الوئام المدني، ويعتـــذروا للـــشعب الجزائـــري علـــى مغالطـــاتهم . وإما أن يحزموا حقائبهم، ويبحثوا عن مهنة أخرى تليق بمقامهم في إحدى الأسواق الشعبية.

الرئيس بوتفليقة، اعتبر صاحب مشروع وطني عظيم يخرج البلاد من أزمتها، باتخاذه خطوات جريئة لمعالجة كل هذا.

ساعات الحقيقة

ياسر: بعد مجيء الرئيس عبد لعزيز بوتفليقة، وأثناء المحاكمة قد طلب وكيل الجمهورية بإصدار الحكم بالإعدام، في حق الشخص الذي كان على رأس جماعة تحضر للقيام بعمليات اغتيال.

وبعد سبع سنوات يبرأ تماما من التهم التي كانت موجهة إليه، وهي قيادة جماعة أشرار ذات علاقة بمؤسسة إرهابية وأثناء محاكمته في شهر يوليو ٢٠٠٠ نطق القاضي، بقرار المحكمة فلقد كان الملف فارغا نظرا لأن الاتهام لم يستطع، أن يأتي لا بالدليل ولا بالشهود، فقد نطقت المحكمة بالبراءة في ٢٠ مايو.

لفائدته بانعدام وجه علاقته بالجماعات، و برأ على اثر ذلك بعد سجن دام ٨ سنوات ظلما، بانتماء إلى جماعة إرهابية مسلحة تهدف إلى ارتكاب جرائم تخريب وتدمير قد كان "محل حكم إجرامي صدر في حقه غيابيا على جرائم إرهاب وتخريب، كان ضحية مؤامرة أن ظروف حبسه ستكون سليمة، وأن يكون له الحق في محاكمة عادلة وأن لا يحكم عليه بالإعدام، وكان ياسر ما هو إلا مثال واحد، عن أمثاله الكثيرين في الوطن.

هذا هو مصير الأمير

بالنسبة لسارة وسميحة وزهرة ، و النسوة الأخريات اللاتي لم يقتلن فقد نجحن في الهرب من الجماعات، بفضل كل من سلام ورفاقه عادل وصابر ورحيم وسليم وطارق، وحفيظ ولمين وعبد القادر ومحفوظ، و لخضر.

فقد أقدموا على تهريب النسوة، ليسلموا أنفسهم للسلطة بعد أن أدركوا حجم أخطائهم، و بعد أن منحهم فخامة الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، في قانون الوئام المدني بالعفو عن الخطائين، وأحسو بعظمة الله الذي تتغير الأحوال ولا يتغير الاعتقاد به، ومن فرج إلى شدة تبقى العبادة والفرج مصروفة له وحده.

لقد قطعوا المسافة بين الباطل والحق، وقطعوا المسافة الأخرى، بين أهل الباطل وأهل الحق، لذلك كانوا يعيشون التناقض بين أنفسهم الخفية...كان يقول لهم ...حق هؤلاء باطل عند أولئك...، وحق أولئك باطل عند هؤلاء...، فما الذي يفصل الأمر بينهما...أهو القوة؟

إن القوة تجعل الضعيف يسلم بقوة خصمه، لا بحقه...الفاصل هو الحق ذاته...، الحق الذي من عند الله لا من عند البشر.، ولئن كانت الأيدي الآثمة طوال أعوام، قد تلاعبت بما في مضى على الأبرياء، فإن نور القرآن بقي محفوظا...، وهو المخرج الوحيد من عذاباتهم وأخطائهم ، و من تعذيبهم الناس وإذلال الفتيات إلى الرجوع بإتّباع الإسلام الصحيح.

، فقد كانوا في الأمس محكومين برحمته ونوره وعزته، حين ملأ الدنيا في عهد النبي محمد صلى عليه وسلم، لذلك لا يمكن هوانه اليوم...إذ أن الذهب يصعد ثمنه وينزل بين يوم وآخر، غير أن قيمته هي هي...، لا تنزل مع نزول ثمنه، بل الذي ينزل هو استخدامه كوسيلة لتبرير العنف، والاستبداد ضد الآمنين.

وفي طريق هربهم، ويا للمصادفة حين تهجمت جماعة من الجماعات الأخرى المتشددة وقتلت الأمير، وبعض من رجاله الذي سارعوا بالهرب وفي طريقهم، التقوا بسلام ورفاقه الهاربين، ووقعت مشادات بينهم ليسقط سلام ميتا، في ميدان القتال كبطل محاولا إنقاذ النسوة من بطشهم لهن.

وأيضا يسقط طارق وحفيظ وأمين جرحى، في هذه الاشتباكات، أودت بحياة ثلاثين شخصا من الجماعات المسلحة، وانهزم الظالمون الذين استبدوا حقوق الأبرياء، وهذا هو جزاءهم الذي كان لا بد منه يوما من الأيام.

و خلصوا النسوة منهن، ووقع جريحا صابر الضابط الدركي، الذي صُدم عندما شاهد سميحة وسطهم، أما الباقون من الذين استسلموا، فإن الدركيين بدأت أصوات الذكر لله تعالى تتعالى منهم، على نصرهم ضد المجرمين ، وتهدأ...حتى صمتت.

وحل محلها الإشارات ثم العناق والتحيات، بين من ظلوا على قيد الحياة، لتبتهج النسوة وسط بكائهن من الفرح لتحررهن، وتطلقن زغردات ارتعشت لها القلوب ودمعت لها العيون.

الضابط حكيم نقل إلى المشفى ولحقت به هناك سميحة.

يا من تملكني.....اعتقني.....قد ولى زمن الرق.....و دخلنا في الألف الثالث.....بعد الآلاف.....فما بالك تبقي على أسرى.....لكن أمت.....تهوى الأسر مع العشق.....فهل في ذلك.....بين المأسور وبين الأسر من فرق.....بقلم إنعام بيوض.

قبل الرحيل

ودعت مرح الجد محمود، الذي تأثر كثيرا لفراقها، وباقي أفراد العائلة أيضا فقد تركت فراغا كبيرا في حياتهم، بكل أسف وألم لمفارقتهم، بعد أن ألحت زوجة الجد محمود بقائها معهم، ولكن حالت محاولاتها ومحاولات الباقين دون جدوى، لتقرر الرحيل، بحثا عن الأمل والسعادة من جديد في بلاد أخرى.لكن هذا لم يمنع بهية من تكلفها الشخصي، بإعانة مالية قدمتها لمرح لإكمال تعليمها، وخصصت لها مرتب خاص كل شهر، تبعثه لها لإعانتها في حياتها الخاصة في الغربة الموحشة، بعيدة عن الأهل والوطن والأحباب، و لم تودع الأهل والجيران والأصدقاء فقط، بل تذكرت فضل من أمد يد المساعدة لها، و أهداها حلة تحلت بها في حياتها، بها أضاء نور درب صعاب الدنيا التي ألمت بها من كل جانب، لتخرج من وحلة الانغماس إلى نور محبة الإسلام والله تعالى، إنه شيخ الأزهر.

فما أن أعلمته برحيلها لبلاد الغرب والعيش هناك، حتى قرر إعطائها نصيحة أخرى، تضمها إلى نصائحه التي أخذتها منه من قبل، و كانت هذه كلماته: "اعلمي أن الغرب ما وصلوا إليه من حضارة، ما كان إلا حينما فصلوا الدين عن الدولة بما أسموها باللائكية، وعزلوا العلم عن الكنيسة، و نحن لا نحيا إلا بديننا، و حينما ابتعدنا عنه واتبعنا أهواء قوم قد ظلوا وحرفوا، وأولو وصلنا إلى ما وصلنا إليه، فلا رهبانية في الإسلام، فكوني نبراس ونور، وإني لا أرى فيك إلا الخير والصلاح والسداد، وإني أنصحك بتقوى الله أينما كنت، فالجماعات استوحلت في الأرض فسادًا، لتعطي نظرة عنيفة اتجاه العرب والمسلمين، في البلدان الأخرى خاصة أمريكا، فالخاسر الأكبر من جراء ذلك هو العالم العربي والإسلامي، في الوقت الذي هو في أمس الحاجة فيه، إلى تكثيف جهوده في اكتساب العلوم في جميع المجالات والتخصصات ، من أجل السير في طريق الخروج، من وهدة التخلف العلمي والتكنولوجي، التي نعاني منها عمومًا، فهل فكرت الجماعات الذين ينسبون أنفسهم إلى الإسلام، في هذه العواقب الوخيمة والضارة بمستقبل العرب والمسلمين، في الأوطان الأوروبية والغربية الأخرى، التي من المفروض أن يكون التعايش معهم مكمل لنا ولحضارتنا المتهدمة، و المفتقرة إلى الكثير للنهوض بها من الظلام، إلى أفق الضياء، فالرسول صلى الله عليه وسلم يا ابنتي كان يتعايش مع أعدائه حتى اليهود تعايش معهم، فما بالنا نحن كعباد، أو ليس هذا رسول الله الكريم حبيب الله تعالى ؟، لذلك وجب عليك نقل صورة حسنة عن العرب والمسلمين، التي ستمثلينها هناك أمام الغربيين بالصبر فهناك مثلين يقالان:

من تعرض للمصاعب ثبت للمصائب من لم يركب الأهوال لم ينل المطالب

و أجرك عند الله إن تمسكت به، و أديت رسالة السلام والصورة المثلى للإسلام، أعانك الله وحفظك من كل سوء، وأنار دربك لما يحبه ويرضاه "

ردت مرح:"لا تخف يا شيخنا الفاضل، أنا لم أتخل عن ديني أثناء معاناتي في وطني الأم من فقدي لعائلتي بأكملها، وفي مصر الحبيبة التي أكرمتني من فضلها وكرم أبناء وطنها، الذين اعتبرت نفسي منهم وأخت لهم في الله، حتى أنتقل إلى بلاد أخرى تفتقر لتواجد الإسلام فيها، و أغير وجهتي بعد كل ما صبرت من أجله، ومن أجل الله الكريم، لا أكون مسلمة ولا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، إن خذلت بلدي الجزائر ومصر، وكل البلدان العربية والإسلامية بدون استثناء، لأني لا أؤمن بالحدود، ونور دنياي ديني الإسلام، وبوركت يا شيخنا لكل ما أعنتني به، و قدمته لي من نصائح كنت أحتاج إليها كثيرا في شدائدي، فبارك الله فيك، و السلام عليكم ورحمة الله وبركاته".

رد شيخ وإمام الأزهر: "و عليكم السلام ورحمته تعالى وبركاته، طريق الأمان يا بنيتي"

مرح في أمريكا: (معاناة جديدة)

مرح استقبلت حياة جديدة أخرى مختلفة جدا عن العالم العربي والإسلامي، فلم تتصور أنها ستلقى عذابا آخر ينتظرها من جديد، و لكن هذه المرة يختلف في محيط آخر ودنيا أخرى، لتلقى هناك انحرافات وبؤس شعب آخر بالرغم من أنه عالم التطورات والحضارة والعلوم، فما كانت إلا أن تكون وقفة أخرى تعطيها الحياة صبر وتمسك وقوة في الإيمان بالله تعالى.

انتقلت إلى هناك، وكان الحي الذي تسكن فيه عمتها حي يعيش فيه مختلف الطبقات والأجناس، وتتعدد أسبابهم الاجتماعية والاقتصادية، من تلك المنطقة التي تعج بأناس من مختلف الجنسيات، وخاصة بالعصابات، والمنحرفين والمنحلين خلقيا من الشباب والفتيات.

كانت عند كل خروج لها للكلية، يطاردونها فتية وفتيات ويشتمونها لارتدائها الحجاب وسطهم، فهي الوحيدة التي تمتاز بذلك بالرغم من تواجد الكثيرين من العرب، فاشتد بطشهم بها وتضاعف شقاؤها، و كانت العمة تلح عليها دائما، في أن تنزع الحجاب حتى لا يطاردونها.

لكن مرح أبت التخلي عن دينها وحجابها، وتحدت الجميع حتى تغلبت عليهم بفضل الله تعالى الذي دائما يحميها.

الأحداث السياسية في أمريكا:أحداث ١١ سبتمبر:

لم يمر العامان إلا ومعهما عناء طويل، وجاءت سنة أخرى تجر معها المزيد من الآلام، بوقوع هجمات أل ١١من سبتمبر ٢٠٠١، على مدينتي نيويورك وواشنطن، التي غيرت مجرى التاريخ.

وما زادت هذه الأحداث، إلا لتلقي بظلالها القاتمة على مختلف الأجانب، العرب والمسلمين المقيمين هناك، فيما مازال الاتهام على أشده لاسيما أثر ذلك باعتقال العديد منهم.

حسب الحصيلة الرسمية التي صدرت، يوم التاسع من فبراير ٢٠٠٢، فإن الهجومين اللذين نفذا في نيويورك، أوقعا في المجموع ألفين ومائة وثلاثة وأربعين قتيلا (الحصيلة النهائية تضمنت الركاب وطاقم الطائرتين ورجال الشرطة والمطافئ ضحايا انهيار البرجين ومستعملي البرجين] .(٧ [وهذه الحصيلة أقل بكثير من التقديرات الأولية، وتحمل على الاعتقاد بأنه على عكس ما يبدو، فإن الهجومين لم يكونا بهدف إلحاق خسائر بشرية مرتفعة إلى حد أقصى، بل على العكس، كان ضروريا التدخل مسبقا من أجل أن يتغيب العديد من الأشخاص، على الأقل أولئك الذين يشتغلون في الطوابق العليا، عن مكاتبهم في الوقت المحدد.

شرع مكتب التحقيقات الفدرالي، يوم١١سبتمبر، في إجراء تحقيق، يعتبر الأكبر مـــن نوعه في تاريخ البشرية، أطلق عليه اسم "بنتبومبPentagon Twin Towers-Bomb"، وهـــي اختصار لكلمة، أي تفجير برجي توين والبنتاغون.

القلب الطيب

بالرغم من هجمات الحادي عشر سبتمبر، التي أثارت الكثيرين ضد العرب والمسلمين، إلا أن مرح لم تستسلم إزاء هذه المشاكل التي ازدادت تفاقما، ففي أمسية من الأمسيات كانت عائدة كعادتها من الكلية، إلى الحي لتجد فيه أحد الشيوخ مرمى على الأرض منهك القوى، و كانت في الحي بعض الفتية والفتيات يجلسون على المخدرات واللهو والسجائر.

و ما أن لمحوها حتى بدؤوا يشتموها، و يستهزئون بها ويضحكون بقهقهات السخرية الجارحة، و لكنها بالرغم من ألمها لهذا، إلا أنها اقتربت من الشيخ العجوز لتحمله وتساعده فنظر إليها، و ما أن رآها استغرب موقفها وسألها عن ما تفعله معه لكرمها ونبل أخلاقها، فردت عليه قائلة:"إني تعودت أن أعامل الناس بالحسنى، لذلك أرجوك أن تقف من الطريق حتى لا يصيبك خطر.

نهض الرجل وحمل عصاه وقشه الرث، ثم أعطته مالا يهين به نفسه فطلب منها أن توصله إلى الكنيسة، فما أن رأتها المجموعة حتى أدهشهم موقفها، فقرروا أن يتبعوها إلى أين ستتجه به.

و قامت بإيصال الرجل إلى الكنيسة، وكان يمشي ببطء مشية الرجل الحزين الذليل لأن صاحب المطعم طرده عندما طلب طعاما، و ما أن طرقت له الباب حتى خرجت امرأة متقدمة في السن، ورأت الرجل ثم دلتهم على أن يتجه إلى أحد المنزل، فمن المحتمل أن يجد هناك من يؤويه ويطعمه على سبيل الإحسان، فألقت المرأة بيدها، و هي تشير إلى منزل بجوار الكنيسة، تقول له أنه إن طرق هذا الباب فصاحبه طيب القلب فإنه سيوفر له مكانا يلجا إليه، و لرؤية المجموعة هذا المنظر الخيري، عادوا ليخبروا الكوبرا جون الزنجي زعيم العصابة، لما قدمته من مساعدة شيخ أمريكي الأصل، وكيف تعاملت معه وأعانته بالمال.

و أما الشيخ ما أن استقبله صاحب المنزل، حتى أطمأنت مرح لهذا، وودعت الرجلين وقاما بشكرها لما فعلته من إحسان، و ما أن عادت إلى الحي مجددا، حتى سمعت أحاديث الناس عن ذلك الشريد، الذي ساعدته الفتاة العربية والمسلمة، فما أطيب قلبك يا مرح، فاستقبلتها العمة زهية باللوم والصياح ، لما فعلته اتجاه الشيخ وإعطائه المال قائلة أنها لا تستطيع دفع كل مصاريف الجامعة، و أنها تعمل هي وزوجها ليل نهار ليوفروا قوت معيشتهم.

لكن مرح أخبرتها بأن الجد محمود سيبعث لها بإعانات مالية لها، و بذلك ستوفر عليها كل هذا العناء، وستساعدهم بدورها بذلك، لكن العمة حذرتها بالاختلاط بأمثال هؤلاء

المتسولين، فلربما يقحمونها في مشاكل، خاصة وأنها عربية الأصل ومسلمة وترتدي الحجاب، الذي أثارهم ضدها، و بعد أحداث ١١ سبتمبر التي حركتهم للنظر إلى العـــرب والمـــسلمين، بنظرة إجرامية إرهابية .

لكن مرح لم تكف عن مساعداتها الإنسانية، لتتجه هذه المرة إلى فتـــاة تـــسمع أنهـــا مريضة وتعاني من أزمة نفسية، تبقيها حبيسة نفسها داخل نافذة تخرج تتأمل الجميـــع هنـــاك، مبتعدة عن المحيط الاجتماعي لتعيش في عالمها الخاص، من جراء مقاساتها مع أمهـــا التـــي تركها زوجها بخلافات ، لتبقى الأم جانيت تقاسي وحدها مرض ابنتها، التي تعجز عن ســـداد مصاريف علاجها أو إخراجها من أزمتها النفسية القابعة بها، منذ سنوات منذ أن تخلى عنهـــا والدها الذي كانت شديدة التعلق به.

لكن الأم جانيت لم تسمح لها بالاقتراب إلى ابنتها، وطردتها من هناك إلـــى غايـــة أن قدمت إليها مرة أخرى وأعطتها مالا تعين به نفسها، و تعالج به إيمي المريضة، ففرحت الأم وأجهشت بالبكاء لكرم مرح ولاهتمامها بهم واعتذرت لها عن ما فعلته لها.

لتخبرها عن مأساتها وجراحها، وأن ابنتها أصبحت هيكلا عظمـــي ومثـــالا للحـــزن والشقاء، و لم يبقى من جمالها سوى عينيها الساحرتين التي تؤلم الإنسان النظـــر إليهمـــا، و أخبرتها أنها نفرت من حياة الكد والعمل ومهنة العاملة التي تنظف بيـــوت الأغنيـــاء، و لمـــا تتعرضه من اعتداءات عليها من أصحاب البيوت تلك، و كلها لتعيش هي وابنتها لتتجه بعـــد ذلك، إلى مجال المتاجرة بجسدها في بيوت الدعارة، فمزق مرح قلبها وإنـــسانيتها، أن تـــرى الطفلة التعسة أمام الناس، لا تتكلم ولا تعي من حولها وتهرب من المجتمع، وحالتهـــا الـــسيئة لمرضها التي تنطلق بها إلى الأسوأ، و أمها التي تكافح من أجل الحياة وبقاء ابنتهـــا بجنبهـــا، فوعدتها بأنها لن تتخلى عنها وأنها ستعينها دوما وابنتها، بشرط أن تترك ذلك المجال، لأنهـــا ستقدم لها إعانة مالية كل شهر، لأنها تملك مالا يوفر معيشتها وأهلها فجدها محمود وزوجتـــه بهية يقدما لها مالا كثيرا، فانتشر خبر إعانة الفتاة العربية المسلمة، التي يحتقرونها في الحـــي ويطاردونها كل مرة، بمعاملتها للأم والبنت المريضة.

الكوبرا في الطريق

استغرب الكوبرا الأمر ذلك، وقرر معرفة أسباب ما تقوم به، ليتبعها في أحد الأيام عندما خرجت من الجامعة، متجهة إلى بيت أحد الإخوة العرب الذي يبين فيه تعاليم الإسلام، ليجدها مدرسة هناك لفتيات أمريكيات ونساء أخريات ، و رجال من مختلف الجنسيات اعتنقوا الإسلام.

فما أن تسلل أمام الحجرة، حتى سمعها تشرح الإسلام الحنيف بتعاليمه الفضيلة التي تحث على الأمانة والشرف والسلام، و المعاملة الحسنة بين الناس والابتعاد عن المحرمات التي لا ترضي الله، و عن عقابه هؤلاء إن لم يتوبوا ويعدلوا عن أفعالهم التي تغضب الله تعالى.

و بأن الله تعالى يقبل التوبة من أي أحد أخطأ مهما كان خطأه جسيما فإنه غفار رحيم ومسامح وعفو عن الذنوب ، فعجب الكوبرا أمر الإسلام، واشتد حبا لسماع بقية الدرس، لكنها أعلنت عن لقاء آخر لهم، فخرج مسرعا بعدما كان يتنصت قبل أن تراه، ليعود حائرا في الأمر مما يجعل تلك الكلمات تترسخ في ذهنه، فيبقى يدور في حلقة لا يجد السبيل إلى الخروج منها، ليراجع تصرفاته الدنيئة التي كان يقوم بها مع شلته من أعمال السرقة، و السلب والنهب والضرب والشتم للناس، و إذاعة الخوف والذعر في قلوبهم وتهديداتهم المستمرة.

أما مرح فقد استمرت أعمالها الخيرية على إيمي، وكان في بادئ الأمر اعتيادها على الناس والغرباء فاقتربت مرح إلى الفتاة وطبعت قبلة على خدها أيقظتها بها، و فتحت هي الأخرى عينيها الواسعتين الزرقاوتين ونظرت حولها، و فرحت كثيرا لاهتمام أحد بها فرفعت لها رأسها وراحت تجاذب معها أطراف الحديث، مما جعل الصغيرة تطمئن إليها خاصة عندما أحضرت لها لعب وهدايا أخرى.

مما جعل الفتاة تعتاد عليها، وأصبحت ترغب في رؤيتها خاصة وأن صحتها تتحسن من جراء علاجها، فأعادت إليها الفرح والسرور والبسمة، التي كانت لا ترتسم وأخرجتها من عالمها المعزول، إلى المحيط الاجتماعي لتندمج مع الآخرين، من هم في سنها كفتاة صغيرة لها أحلام كثيرة.

فأخذتها في أحد ى المرات ووالدتها، إلى رحلة في زورق على البحيرة وكانت تقوم بالتجديف مرح والأم جانيت، وإيمي تتمتع بجمال الطبيعة المحيطة بها، السماء الصافية وزرقة البحيرة الشديد والقوارب الأخرى التي بها عائلات، تتمتع هي الأخرى في هذا الجو الهادئ، بجو عائلي ممتع.

سعدت إيمي كثيرا حتى طلبت التجديف بنفسها، لكنها لم تقوى على ذلك لصغرها مما جعلها تبتهج أكثر، كانت هذه التصرفات تفتقدها جدا في الماضي، الذي كان المرض والكآبة والتعاسة تحيط بها، من كل جانب من الحياة المؤلمة لهذه الطفولة، و كان موقف جانيت أسعد لرؤية ابنتها الوحيدة، تخرج من أزمتها النفسية إلى مرحلة عادية، كأية فتاة أخرى تعيش حياة هنيئة، فمن شدة ابتهاجها أخذت بالبكاء والندم على كل ما فعلته من أفعال سيئة.

و قامت بشكر مرح، التي أعادت إليها البسمة والفرح وأفرجت عليهم همهم بإعانتهم، ولدى عودتهن كن سعيدات جدا خاصة بعد شراءها لهما ثياب جديدة، وما كن يحلمن به من مأكولات شهية، كل هذه اللحظات جعلت جانيت، تتساءل عن إنسانية مرح اتجاه الآخرين، بالرغم أنه حتى لو أساء إليها أحد فإنها تقابله بروح طيبة وبالخير، دون أن تحمل اتجاهه أي حقد أو كراهية أو انتقام ، محاولة دائما كسب الجميع وضمهم إليها، بمعاملتهم كلهم كإخوة لها فأي إسلام هذا ؟؟، الذي يجعل الإنسان يتبع خطوات الخير وإعانة المحتاجين، وزرع الأمل فيهم، و أي شعار يحمله الإسلام من قيم نبيلة؟؟

طريق التوبة:

و في تلك الليلة قامت مجموعة بالهجوم على أحد البائعين يدعى مارش، بائع مواد غذائية في أحد المتاجر في الحي، فقاموا بضربه وسرقة أمواله و كسروا محله، دون علم أو تخطيط الكوبرا الذي فضل الإنفراد بنفسه في غرفته.

فنهض على صراخ العم مارش، فهرع إلى الشارع ليرى ما فعلته جماعته به، فقام بتأنيبهم على ذلك، مما يؤدي بأحد من شبانه التابعين له بالشجار معه فيكسر له يده، و يحذرهم من الاقتراب إلى العم ثانية، و كان ذلك على مرأى جميع القاطنين بالحي، الذين كانوا يترقبون المنظر خلف نوافذهم وشرفهم مرتعبين وخائفين، دون أن يتجرا أحد منهم بمساعدة مارش أو وقف الشجار، فوقفت عصابة الكوبرا واللصوص، مستعجبة أمر تغييره المفاجئ، خاصة أنه كان القائد الأول، والمخطط لجميع أعمال السرقة، لأنهم لا يجدون ملجأ آخر ينفس عنهم معاناتهم وفقرهم ويسدد لهم معيشتهم، فلجأ الكوبرا إلى مارش ، و كان خائف كثيرا منه يبكي، بأن لا يفعل له شيء وأنه لن يخبر الشرطة، و أنه لم يبقى له شيء يقدمه له، لأن مجموعته أخذت كل ما يملكه، لكنه قدم له المساعدة ثم ضمد له جراحه ، ثم استدعى فرقته وطلب منهم إعادة ما نهبوه منه.

أما مرح فبقيت تتأمل كل هذه المشاهد من نافذة غرفتها، و قلبها كان في بادئ الأمر يتألم لما فعل بمارش، لتبتهج بعد ذلك بخطوة الكوبرا النبيلة، و في الصباح التالي تقدمت مرح من الكوبرا، و الخوف يعتريها لتشكره لما بدر منه سلوك جميل، فتقبل شكرها وطمأنها أنه لن تكرر عليها المضايقات من أحد كل هذه الأحداث أحدثت تغييرا في الحي الأمريكي والقاطنين به، بعد الخوف الذي كان يقبع في قلوبهم من الكوبرا وعصابته.

فقد أصبح يتابع دروس مرح خفية، من خلف النافذة ويسجل كل ما تقوله، لتفاجئ في لحد الأيام، أن رأته من خلف النافذة يكتب على ورق، فتجاهلت النظر إليه حتى لا يحس بها، و اقتربت شيئا فشيئا من الباب، و هي تملي الدرس وترفع من صوتها، فإن توقفت لأحس بأنها لربما تخرج، فما أن وصلت حتى فتحت الباب لتجده قريب من النافذة يسجل كلامها، فعجبت أمره واندهش وخاف من ردة فعلها اتجاهه، وهو يتجسس عليها، فطلبت منه الدخول إلى القاعة إن أراد الحضور، فهي لا تمانع ذلك بل يسرها حضوره، فاستغرب دعوتها وفرح بذلك، وحضر الجلسة في مقعد مثله مثل الباقين المنظمين.

و لما انتهت نادته، لترغب في أن يفسر لها رغبته في سماعها، فشرح لها الأمر وبقراره التغير من الأسوأ إلى الأفضل، و بابتعاده عن سلب وسرقة الناس، و بيع المخدرات،

ليبحث عن مكسب لرزقه بيده ويحس بأنه يبذل جهدا في ذلك، يعطيه الأمل في الحياة يتـذكر بها ربما، عنائه ومسؤوليته اتجاه ذلك.

خاصة وأنه انحدر من عائلة فقيرة، ومات عنه أبواه وهو صغير، و قـضى معظـم شبابه كما قضاه الفقراء الكادحون، و أيامهم بالتسول لقاء أجر لا يكاد يكتفي به لقوته، ليلجـأ إلى السرقة والعنف، و تكوين عصابة سرقة ومخدرات لكل هـذا، فرحـت مـرح بـالخطوة الإيجابية، التي أقدم عليها الكوبرا، لتقرر بإعانته ومد يد المساعدة له بشرط عدولـه النهـائي والتام، عن الإساءة إلى أي أحد.

و ما أن عادت إلى الحي، حتى قام بالاعتداء عليها الشاب المكسورة يـده، بـضربها بسكين في يدها ، معتقدا أنها من قربت إليها الكوبرا وأصبح يتعامل معها بإحسان ...و هرب بعد ذلك من الحي، مما جعلت الضربة تسقطها أرضا.

فلما علم الكوبرا ثار غضبا، و أخذ بالبحث عليه، وقام بتأنيب جماعته الـذين ازدادوا غرابة لاهتمامه المبالغ بها، و لتغيره فجأة هكذا، أما الشاب ما أن هرب حتى قـام بمطـاردة ثلاث شبان أغنياء، ليقوم بقتل أحدهم وسرقتهم، ثم فر هاربا وظـل الكـوبرا يبحـث عنـه والشرطة أيضا، و في تلك الليلة أخذت مرح للمستشفى، و تبين أن إصابتها طفيفة، و جرحها ليس خطير أو عميق، أما البقية من العصابة، فقد هددهم الكوبرا بأن اقترب أحد مـنهم إلـى الفتاة، فستكون نهايته على يديه، و لكنهم استفسروا عن الأسباب التي جعلته يغير رأيه فيهـا، بعدما كان يحرضهم عليها في بادئ الأمر، وكان أكثر من يستفزها دائما، و كيف بـين ليلـة يتغير سلوكه نهائيا اتجاهها واتجاه الآخرين، ويطلب منهم التوقـف علـى الـسرقة والنهـب لممتلكات الناس، ولكنه وضح أمره لهم.

و أخبرهم عن ما تفعله من مساعدات إنسانية، اتجاه الناس وأنها ستقدم إعانة مالية له ولكل من في الحي، وقال محدثا لهم:"لكنها مقابل ذلك فإنها لا ترغب أن يؤذي أحـد شـخص آخر، بل تطلب منا أن نكون جميعا إخوة لأنها تعتقد أن ربها الذي تعبده يجازي النـاس بعـد وفاتهم إلى الجنة، من فعل خيرا أمام الناس وأن ربها لا يفرق بين الناس فهم سواسـية عنـده حيث أنه لا ينحاز لا للأسود ولا للأبيض، أو جنسيته كذا ولا ينظـر لا للعـرق ولا للطبقـة الاجتماعية، ولا يفضل هذا عن الآخر، و أنه يقبل التوبة من عباده إن أخطأ أحد وعدل عـن أفعاله، فإن له ثواب عنده بأن يخلد في الجنة، لأنها تقول أن هناك حياة أخرى بعد الموت، إن كلامها هذا أشعرني بأني كنت نكرة وسط المجتمع لما فعلته.....، فإني رأيـت فيهـا نـورا وصدقا لكل ما قالته."استغربت العصابة هذه الروح التي أصبح الكوبرا يتمتع بها، و منذ ذلـك الحين أصبح يساعد شيخ إن رآه عاجزا أو عجوزا في قطع الطريق، و أصبحت جماعته تتبعه

في كل خطواته، و أصبح يلقي التحية على سكان الحي الذين كانوا مرعوبين منه، فاستغربوا تصرفاته النبيلة اتجاههم وإعانته لهم.

أما مرح ما أن غادرت المستشفى، حتى لجأ إليها كل سكان الحي يهنئونها على نجاتها، و لكن العمة زهية لم ترغب في زيارتهم لها، فكانت لا ترغب بارتباطها وتعرفها عليهم، و انجذابها نحوهم خوفا لما قد يحصل، و لم تكن تعلم أنها منظمة ومعلمة لتعاليم الإسلام للأجانب، فلو علمت بذلك لمنعتها من القيام بهذا العمل.

حقيقة الإسلام

لم تمر أيام حتى قبض على الشاب، و أدخل السجن بسبب فعلته، و ما أن مرح عادت إلى الكلية وعملها، حتى لاحظت أن القسم قد بدأ يمتلأ بالأجانب، فقد انضم الكثيرين بمن فيهم جماعة الكوبرا، الذي أجبرهم على حضور دروسها وقد كانوا يتأملون كلامها بكل انتباه، فكانت طريقتها في شرح عقيدة الإسلام الحنيف قوية، لما تعطيه لهم من دلائل تثبت صحة أقوالها، مما جعلهم بعد ذلك يبتعدون عن أفعالهم السيئة وبذلك لما وصل إلى مسمع سكان الحي، بمكان إلقائها دروسا في المعاملة الحسنة، وتعاليم الإسلام وطريق الخير.

مما زادهم إصرارا على الحضور هم أيضا، ومعرفة هذا الإسلام الذي تعتنق الفتاة الطيبة الذي تثار حول المشاكل وتقع عليه الاتهامات من نسب الجرائم له، وقد عدلت الفتيات عن طريقها السيئ، واحتشمن في لباسهن الفاضحة احتراما للآخرين، بالرغم من عدم اعتناقهن الدين الإسلامي .

و الشباب الآخرين فقد أصبحوا يعملون لدى العم مارش، الذي ساعدوه وأصبح محله يقصده الكثيرين وأصبح يعج بزبائن كثر، مما سهل عليهم كسب رزقهم بالحلال، أما الكوبرا فقد أصبح يعمل في أحد المتاجر، مما جعله يحس بالمسؤولية اتجاه نفسه واتجاه الأمانة التي يقوم بالحفاظ عليها، من حفاظه على المتجر وعلى أموال صاحبه، خاصة أنه واجه في عديد من المرات محاولات سرقة، و نجح في منعها، مما جعله يعيد فكره لما كان يقوم به ضد الأشخاص بسلب أموالهم أو أغراضه، فتذكر كل ما كان يقوم به اتجاه الضعفاء.

بهذا فقد غيرت مرح الكثيرين، حتى اعتنق الكوبرا الإسلام، وشابتان من عصابته، وبقي آخرون متمسكين بأديانهم التي يتبعونها، و لكن هذا لم يمنعهم بالحضور للجلسات وأخذ الدروس المفيدة، بل وعل العكس فقد فهموا معنى الدين الإسلامي، وبقي إقناعهم بالدخول إليه أمر يخصهم، فهي لا تجبر أحد بإتباعها مهما كان، فالدين دين يسر وليس دين عسر، و الدين الإسلامي لا يكون بالإكراه، فكل شخص حر في الاقتناع وبإتباع ما يراه صائبا بالنسبة لنفسه، لكن هذا لم يمنع من فهمهم رسالتها الإنسانية، في ضرورة التعايش بين المسلمين والمسيحيين والآخرين، و بين مختلف الأجناس، ليسود السلام والأمان مهما تعدت الأديان وأسباب معيشتهم التي جمعتهم.

التكافل

و في أحد الليلات، شبت نار في ليلة عندما اندلعت ألسنتها وهددت المنازل المجاورة، كان الشابان وبعض من أهل الفتى الذي قتل، هم مرتكبو فعلتهم انتقاما لما حصل له، فتعـــاون كل السكان في إطفاء الحريق، و بعدها قدمت سيارات المطافئ واشترك السكان في مساعدتهم وإنقاذ الباقين، خاصة أن الحريق شب في البناية التي يقطن بها الكوبرا وعصابته، و بعـــض من جيران آخرون لينقذوهم بعد ذلك، من الموت الذي كان يتربص بهم.. بكل روح إنـــسانية ساعدوا بعضهم، فقد تعلموا هذا من مرح التي كانت تحثهم دوما على ذلك، وما إن اكتـــشفت الشرطة مرتكبي الحادث، بعد أقل من يومين حتى قبض علـــيهم ليلقـــوا عقـــابهم لتجـــاوزهم القانون.

التهمة الباطلة:

و مضت عدة أيام على كل هذه الحوادث، إذ في أحد الليلات كان الحي مليئا بالأمطار التي هطلت، فسمع الناس ضوضاء وأصوات مختلطة غير عادية، ورأوا في نهاية الشارع أمام منزل عمة مرح الشرطة الفدرالية، فبدت عليهم علامات الانزعاج لما يحصل، فاقتربوا فلاحظوا أنهم يعتقلونها باتهامها بأنها منظمة إلى جماعات إرهابية، و تمارس أعمال تسئ إلى القانون والنظام الأمريكي، ظل السكان يبغضون ويحتجون على ما أقدموا لها، فلزم الجميع الصمت عندما اقترب ضابط أمريكي يدعى روبرت، و أخذت مرح بعينيها ترمقهم كأنها ستفارقهم طويلا، ثم تنهدوا في حزن وصاح الناس:"أطلقوا صراحها، أطلقوا صراحها....."أما عمتها وأبنائها فقد تخلت عنها في هذا الموقف، وصرحت لهم بأن ليس لها علم بما تفعله، و أنها لا ترغب لها بقدومها مرة ثانية إلى بيتها، فلن تستقبلها أبدا حتى ولو برئت من تهمتها، لأنها تعبت لما تجلبه لها من مشاكل يوميا.

أما العم منير فعند سماعه بالخبر، لم يتخلى عنها وزوجته المحامية الأمريكية قررت مساعدتها وإثبات براءتها في قضيتها بنفسها، للدفاع عنها بالرغم من عدم احتكاكها كثيرا بها، إلا أنها اقتنعت ببراءتها، فقد رأت في مرح الروح الإنسانة الطيبة والحسنة الخلق، التي تمتاز بها، فقررت مساعدتها، و لم تكن الوحيدة التي وقفت بجنبها، بل حتى سكان الحي بل المفاجئة أكبر من هذا .....؟؟

التعذيب النفسي والجسدي

أخذت مرح إلى السجن السري بعد ثلاثة سنوات من الاغتراب، وهي معصبة العينين..، وجدت نفسها فجأة في سجن غريب، أين أقيمت لها استجوابات شديدة وتعذيبات مختلفة الألوان جسديا ونفسيا، لكنها كانت دائما صبورة ومتماسكة بدينها وبالله تعالى، الذي إن مهل فإنه لا يهمل عباده المؤمنين، و قد حاول سكان الحي، بمن فيهم الكوبرا وعمها منير وزوجته للوصول إليها، لكنهم لم يعثروا على أثر لها، فلم يعلموا أنها أخذت إلى أحد السجون السرية التي لا يعلم طريقها أحد، ولم يتلقوا أية معلومات تثبت حياتها من وفاتها، فبقوا في حيرة وقلق صاحبهم خلال شهور طويلة، و لكن دون جدوى واختفت مرح نهائيا عن الأنظار، مرح لاقت أقسى العذابات طوال تواجدها في ذلك السجن، فكانوا يستفزونها إن رأوها تصلي وتقوم بعبادة الله تعالى، لم تسلم من أيديهم وتلقت عدة ضربات موجعة، حتى تعترف بتهمة نسبت إليها ظلما.

وعذُبت بالحرق بلفافات التبغ المشتعلة، كما تعرضت للضرب، وأُجبرت على تجرّع كمية كبيرة من المياه القذرة، والمواد الكيماوية وهي مقيدة إلى مقعدٍ خشبي طويل، وتعرضت للصعق بالكهرباء.....و غيرها من التعذيبات الشديدة، كانت تنظر إلى الحياة، كأنها طريق مليء بالعذاب الذي في آخره، إن صبر الإنسان لما يلاقيه من متاعب، فحتما مصيره الجنة ويكون قد نال بذلك رضي الله تعالى، كان هذا شعارها الذي زادها إيمانا وصبرا وتعلقا بدينها، و بالله تعالى.

و أثناء كل هذا كان الضابط روبرت، يراقب كل ما يفعل بهذه الفتاة الطيبة، التي حركت مشاعر الشفقة فيه، بالرغم من أنه كان يمتاز بغرور يحويه الشغف، وتسلّط لا تستطيع تمييزه عن الحنان، واستبداد لا يقهر، وطغيان لا إكراهَ فيه؟..... أنّى لها الآن أن تجد كل هذا في رجل، لينفطر قلبه لرؤية ذلك. وكان ينفذ كل ما أمر به اتجاهها، ومرت الأيام إلى أن قصد الغرفة المتواجدة بها، ليراها هناك حيث أنه بقي يراقب تصرفاتها، فكانت تصلي، ثم جلست حاملة مصحف صغير تقرأ آيات القرآن الكريم، وتناشد الله العظيم بقلب خاشع ومفتور، بروح معذبة وصابرة لكل هذا، كانت تبكي بحرقة تغلغلت في جسدها أكمله، لتتلف كل ما فيه، كانت كالطفل الصغير الذي فقد أمه.

و ما إن التفتت حولها، حتى لاحظت وجود الضابط يراقبها، فارتعبت خوفا ومرت في جسدها رعدة رعب، جعلتها تعتقد أن مجيئه، ما هو إلا لأخذها من جديد، إلى مكان الاستجواب والتعذيب الشديد، فنظرت إليه ودموع عينيها تنهمر على خديها، لتحرق قلبه وتذيب صرامته في اتخاذ الأمور، بأن ينظر لها نظرة حنان، بعكس مجال عمله الذي لا

يتطلب لا الرحمة ولا الشفقة على المسجونين، لكن طيبتها ورقتها جعلته يذيب كل شر يحتل كيانه البشري.

فخاطبها بكل رقة وحنان وعرف بنفسه قائلا:"أنا رجل المخابرات هنا..، حريّ بي أنا أن أتولّى عملية استجوابك، و بالنسبة لهذه المعاملات القاسية، فإني أتلقى الأوامر من أصحابها.....، بالرغم من أني أرفض أن تعاملي بذلك، لكني مجبر على هذا، و لكن الفضول قادني لمعرفة ما تخفينه من أسرار داخل قلبك، بالرغم من كل هذه التعذيبات لم تعترفي، بأنك ضمن دائرة الجماعات، لماذا لا تدافعين عن نفسك إن كنت بريئة من ذلك، أو كنت من بينهم...."؟؟؟ نظرت إليه مرح نظرة طويلة، ثم أخبرته أن لا علاقة لها بأي جماعات، وما كانت تفعله في عملها سوى إعطاء تعاليم الإسلام الصحيح لمعتنقيه من الأجانب، الذين يفتقرون كثيرا إلى تفسيره لاختلاف اللغة، و ما كانت كل هذه الاتهامات التي وجهت ضدها سوى أنها باطلة.

الضابط روبرت:"أو تدرين أن هذا الإسلام الذي تدعيه، ما هو جسر إلى العنف والإجرام، الذي قاد إليه الكثيرين للانضمام فيه لمحاربة الأبرياء، أنا لا أجرّم مبادئك مهما كانت متطرّفة في المثالية، باعتناقك هذا الدين، الذي هو في نظري يخفي الكثيرين من المجرمين، والذي هو المصدر والخالق الوحيد لمثل هذه الجماعات، التي تستهدف أطفال ونساء وشيوخ، أتقبلين أن يؤذي أحد أهلك بإدعائه بمثل هذا الدين، الذي حطم نفوسا وشعوبا وترك بصمات التطرف، اتخذت صورة العنف والقتل الشنيع، أو ترضين أن تري أطفالا وأجيالا قادمة تقتل وتشرد وتيتم.....؟؟؟؟"نظرت إليه مرح وانهمرت من عينيها الدموع عندما حدثها عن الأهل والأطفال ومرت في خيالها مشاهد المجزرة لأهلها وصورة عمتها المقتولة في مصر ولكنها لم تعطه جوابا لذلك مما جعله يندهش لتأثرها بهذا وأحس في نفسه أنها ترفض أي شكل من أشكال العنف الممارس ضد الأبرياء، لكنّ شيئا ما كان لا يستطيع أن ينزِع ألم مرح ، و معاناتها، و قدم ضابط آخر شديد القسوة، فما إن رآها هناك حتى اقترب لاستفزازها ثانية، فألقى بيده علي المصحف الشريف الذي كانت تحمله فأوقعه أرضا، وأخذ يدوسه بقدميه، ويقول:"أليس هذا هو كتابكم الذي علمكم الإجرام، أو ليس هذا كتابكم الذي جاء به نبيكم للاعتداء على الأبرياء....."وفي ذهول نقلت بصرها بينه وبين المصحف، و ما إن أبعده روبرت وطلب منه تركها له، نظرت إلى الضابط قبل أن تنحني ببطء لحمل المصحف الشريف، فجعلها بذلك أشبه بالحيوان عندما داسها بأرجله وأسقطها أرضا.

لكن روبرت منعه، و أخرجه حتى لا يقترب إليها ثانية، واغرَوْرقت عيناها بالدموع وهي تضع بين يديها المصحف الشريف، وقلبها ينفطر، واعتدلت قابضة عليه كجمرة تُحرق قلبها، وهي تنظر للضابط نظرة عدم تصديق، ارتطمت بنظراته الحادّة الباردة لما فعل بها ،

هزّت رأسها في قنوط وحيدةً في أعاصيرِ الليالي، كشمعةٍ قانطةٍ تبحثُ عن مثواها في الظلام، لأن ضوءها لا معنى له بدون سائرٍ ومَسلَك..، وبكلِّ دمعةِ حزنٍ أحرقت جفونها.

بدأت أفكار كثيرة ومشاهد وأشكال، تتراقص متزاحمة في مشاعرها، ممزوجة بأصوات وألوان، لم تبارح ذاكرتها تتناوب بين اللمعان والتلاشي، بين الصخب والصمت..، بين الحركة والسكون..، وأحسست بأن ذاكرتها تتشابك مع النسيان في مصارعة عنيفة، وكأنها كومة من خيوط الحزن الذي أحاط بها.

تحاول بمعجزة ذاتية، أن تتحرر من حقل مليء بالنباتات الشائكة..، من جحر به الكثير من العقارب اللاسعة.....و ما كان القرآن الكريم الذي كانت تحفظه عن ظهر قلب منذ طفولتها، إلا أنيسا لها كانت رقّتها ممزوجة بالحزم على عدم التخلي بموقفها وبدينها، إنّها ككلّ شيء في الكون، سابحة في فَلَك دائريّ، لا بداية له لتكون له نهاية.. وقوة الدين في نفسها والصبر لكل الشدائد، كان واحد من هذه المدارات، وكلّ كلمة فيه دورة جديدة في رحلتها الأبدية، التي لا تعرف الكلل أو الملل.واتسعت عينا مرح في ارتياع، وهي تضع كفّها على فمها لتكتم صرخة ألم هائلة، كانت مظلومة جدا، ولم يكن لهم خيار سوى ذلك الطريق، من الصبر والتحمل فوق طاقتها، ولو تتبعنا كل ما حولنا سنجد نفس الصورة تتكرر، سنجد كل ظاهرة في مجتمعنا تأتي بتبرير يتناسب مع الظروف الراهنة، وفي كل مرة سيكون هناك سبب وجيه، يركز عليه ويحاول أن يضع مسؤوليته اتجاهنا.

بعد الألم

و صلت مرح إلى مرحلة شدت نظر وقلب روبرت، أنها هي نفسها أعلى درجات الإسلام وهو (الإحسان) كانت تقول له:"أنها تعبد الله كأنها تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراها....."بهدوء وتأمل، دقق روبرت في كل الكلمات، التي كانت تقولها واسترجع موقفه، وأخذ بالبحث عن شيء يحيط به ليحمله السبب، فقد دخلت مرح إلى حجرات مشاعره..، و تأثر بها لما تحمل من عظة وعبره.و اشتاق لمعرفة ما في عينيها وفي فكرها، من خصال جميلة تصبغ عليها مشاعر، قرأ حروفها من خلال مراقبتها له طوال تواجدها هناك، وجالت بين صفحاته أفكار وتضاربات وانشغالات بها، وجدها مازلت صغيرة، لتغرق وسط أوحال الدنيا التي تربصت بها.، و، وبذلك تملكته الأسئلة التي تمنى أن يجد إجابتها متى.....؟؟؟أين.....؟؟؟، وكيف.....؟؟؟.

القافلة المحزنة

و مازال حائر تحت رذاذ العتمة، ليخرج بنتيجة واحدة بعد ذلك، أن مرح هي لوحة تتمازج فيها الألوان، ليجد أن كل لون فيها يحمل قصة إنسان..و،، وطن.!!. معذب ومقهور، من شدة الآلام.

هل هي العائدة من وراء السنين..؟؟؟"، إنها "القافلة المحزنة «، التي حملتها طوال طريقها بالصبر على مصائبها ستظهر براءتها، بعد التحريات التي قام بها، و المعلومات التي قدمتها مصر والجزائر بشأنها، من أنها ضحية من ضحايا المأساة في البلدين.

فقد وجد بعد ذلك قصتها من العدم..، وانتهت بلا مقدمات.. ، لما نسب إليها من تهم، وكأن النهاية لها تقول ستتوقف مرح إلى هنا، في ظل كل ما عانته بآثار أقدام متعبة قادها القدر إلى العذاب من جديد، كان قلبه يدوي كقصف يقصف به صراخه القابع في قلبه، بين مكانته من جهة وفكره وإقناع الآخرين ببراءتها، التي كان متأكدا منها.

و هذا ما أعطاه جرعة كبيرة من الحقد والغضب، كأن معه "ولاعة "ليحرق كل ما نسب إليها، بعدما قام بكل الإجراءات والتحريات وجلب المعلومات عنها في البلدين مصر والجزائر، اللذان بفضلهما تعاون كبار المسئولين والاستخبارات المصرية والجزائرية، بالرغم من أنهم لم يلقوا تجاوبا كثيرا بكشف الحقيقة والدفاع عنها لتبرئتها، فلم يتركوا مرح وقدموا كل ما بوسعهم، يفيد براءتها الحقيقية بتقديم أدلة وشهادات تثبت أنها كانت ضحية إرهاب في البلدين، فقد فقدت أهلها في الجزائر وخالتها وأحبابها في مصر، ولكن هذا لم يلقى لديهم نقاشا.

البراءة

جولة الباطل ساعة، و جولة الحق إلى قيام الساعة "

كانت هذه المعلومات التي لاقى روبرت صعوبات في جلبها، بعد أن وافق المسئولين أخيرا براءتها، فقد أنهت نفسيته الهائجة ببرودة يثير بها أعصاب المسئولين، عن ما ألحقوا به الفتاة البريئة بعد الإجراءات التي قاموا بها، وفي نهاية الأمر أُفرج عنها دون أن تُوجه إليها أي تهمة بعد أن ظلت رهن الاحتجاز السري وأوصلت إلى باب المنزل معصبة العينين مثلما حملت من هناك واخبروها أنها حرة الآن وتستطيع لعودة إلى بلدها.

و بالرغم من أن المبدأ ٧ من "مبادئ الأمم المتحدة الأساسية الخاصة بدور المحامين"، والمبدأ ١٧ من "مجموعة المبادئ الخاصة بحماية جميع الأشخاص الذين يتعرضون لأي شكل من أشكال الاحتجاز أو السجن". والمثول على وجه السرعة أمام أحد القضاة، فلا شك أنه لو طُبقت هذه البنود عملياً لما احتُجز معتقلون رهن الاحتجاز السري، ولأمكنهم على الأقل الاتصال بأسرهم، ولسمح ذلك بدوره بالحد من خطر وقوع حالات "اختفاء"والتعرض للتعذيب أو المعاملة السيئة.

وتنص المادة ٦ من "الميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب"على ضرورة إحالة جميع المحتجزين على وجه السرعة إلى أحد القضاة وإبلاغهم بالتهم المنسوبة إليهم. وبالمثل تنص القاعدة ٩٢ من "القواعد النموذجية الدنيا لمعاملة السجناء"الصادرة عن الأمم المتحدة على: "يُرخص للمتهم بأن يقوم بإبلاغ أسرته نبأ احتجازه، ويُعطى كل التسهيلات المعقولة للاتصال بأسرته وأصدقائه واستقبالهم..."

ويتعين في جميع الأحوال أن يخضع احتجاز أي شخص، من جانب أي جهاز أمني وتحت أي ظروف، للتدقيق القضائي. وتنص المادة ٩ من "العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية"على أنه:

١. [...] لا يجوز حرمان أحدٍ من حريته إلا على أساس من القانون وطبقاً للإجراءات المقررة فيه.
٢. يجب إبلاغ كل من يُقبض عليه بأسباب ذلك عند حدوثه كما يجب إبلاغه فوراً بأية تهمة تُوجه إليه.
٣. يجب تقديم المقبوض عليه أو الموقوف بتهمة جزائية فوراً أمام القاضي أو أي موظف آخر مخول قانوناً بممارسة صلاحيات قضائية ويكون من حق المقبوض عليه أو الموقوف أن يُقدم إلى المحاكمة خلال زمن معقول أو أن يُفرج عنه.[...]"إلا إن

منظمة العفو الدولية ليس لديها علم بإجراء أية تحقيقات في أيٍ من حالات الاحتجاز السري والمطول المعروفة لها، أو بتقديم المسئولين عن هذه الانتهاكات إلى ساحة العدالة وما زال الرأي العام يفتقر إلى الثقة في نظام العدل الذي يتقاعس عن منع وقوع حالات الاعتقال التعسفي والاحتجاز السري والتعذيب وغيرها من انتهاكات حقوق الإنسان، أو يتقاعس عن التحقيق فيها.

الوداع

قررت مرح العودة إلى الوطنين العزيزين، اللذان بقيت بينهما متنقلة دوما لتجد أن بلديها كانا الأفضل لها دوما، بالرغم من ما شاهدته من اضطهاد، إلا أن الوطن يبقى غالي مهما كانت أحواله، و ما أن سمع الرفاق في أمريكا حتى أخذوا يهنئوها ببراءتها، و لكنهم تأسفوا كثيرا لفراقها الذي ستترك به فراغا في حياتهم، بعدما أضفت عليهم المحبة والسعادة والخير، لتترك بصمات على أنفسهم في تحسين نظرتهم عن العرب والمسلمين، بعد أن فهموا معنى الإسلام وما من ورائه من سلام وآمان، لكنها وعدتهم بزيارتهم حينما تتاح لها الفرصة، أما العمة زهية فقد طلبت منها الصفح لما سببته لها من أذى، و لتخليها عنها في محنتها، و لكن قلب مرح كان مسامحا وطيبا، فصفحت عنها وفرح العم منير ببراءتها أخيرا وأيضا زوجته وعائلته.

عودة مرح إلى الوطنين

و تعود مرح من بصيص الألم والمعاناة التي شهدتها هناك، وما إن انطلقت الطـــائرة، حتى أحست أنها تحتضن الهواء، وتطير في حلم صاروخي عجول..إلى الوطن الأم الجزائر، وإلى وطن السلام والأمان مصر، اللذان استقبلاها بكل فرح وسرور، وبعناق المحبة والأخوة لتبقى بينهما متنقلة تعطي من تجاربها الأجيال القادمة، و تمكنت من تحصلها مكانة كبيرة في البلدين، كمأطرة في الجامعة التي ستستفيد منها، و قد استعاد البلدين الأمان فيهما.، بعد جهـــد جبار يشهد له من قبل فخامة الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، لتخرج البلاد من أزمتها نهائيا، فانه يشهد له التاريخ والعالم بأكمله لما حققه من نجاح باهر، في تخليص الجزائريين من الخـــوف والرعب الذي كان قابع في نفوسهم، منذ أزيد من ١٠ سنوات

عين الحقيقة وميلاد جديد للوطن

لا يمكن التهوين من اتساع وعمق المأساة التي تمر بها الجزائر، منذ ما يقرب من عقد من الزمان، فقد سقط عشرات الألوف من الضحايا، منذ بدء الصراع الحالي عام ١٩٩٢، و"اختفى"آلاف بعد أن اقتادتهم بعض من السلطة إلى مصير مجهول، وأُصيب عشرات الألوف في أعمال العنف، أو عانوا المحن والآلام الناجمة عن فقد أحد أفراد الأسرة، ولم يسلم أي قطاع من المجتمع الجزائري من آثار الأزمة، التي ارتُكبت خلالها أكثر انتهاكات حقوق الإنسان، وحشيةً على أيدي الجماعات المسلحة، لذلك قرر فخامة الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، استكمال مسيرة السلام والأمان بإجراءات قانونية أخرى رامية.**لإحلال السلام والمصالحة الوطنية:**قال الرئيس بوتفليقة في كلمة، "أدعوكم إلى الإدلاء برأيكم في الاستفتاء الذي سيجري الخميس ٢٩ سبتمبر/ أيلول ٢٠٠٥، حول مشروع الميثاق من أجل السلم والمصالحة الوطنية، واستُفتي الجزائريون في نهاية سبتمبر (أيلول) ٢٠٠٥، في هذه الخطة الأمنية فأيدوها بأغلبية كبيرة، وكان بمثابة تزكية شعبية ثالثة للرئيس بعد انتخابات ١٩٩٩ و٢٠٠٤، فالأمن لم يأت من فراغ وإنما كان نتاج إستراتيجية فخامة الرئيس، لكنه استبعد من العفو المتشددين المتورطين، في "المجازر والتفجيرات.بالأماكن العمومية"

وقال الرئيس بوتفليقة إنه في ظل خطة المصالحة سيعتبر آلاف الأشخاص الذين اختفوا في العنف "ضحايا مأساة قومية"وتتلقى أسرهم تعويضات.

ويتضمن العفو الذي طرحه، إبطال المتابعات القضائية بحق المتشددين الذين سلموا أنفسهم للسلطات، وكذلك بحق بعض الأشخاص المطلوبين في الداخل والخارج،

ودعا الجزائريين إلى دعم مبادرته قائلا، إن الاستفتاء سيكون "شفافا وديمقراطيا ونزيها."وينص مشروع المصالحة أيضا على "حظر ممارسة أي نشاط سياسي من قبل المتسببين في ذلك العبث ومن قبل كل من كانت لهم مسؤوليات في التدبير"دعا رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة، الجالية الجزائرية المتواجدة بالخارج للمساهمة الفعالة في إنجاح مسعى المصالحة الوطنية.

كما ناشد الرئيس بوتفليقة الذي نشط تجمعا شعبيا أمام مواطنين قدموا من ولايات الوطن كله، بلاغا الذين فروا إلى الخارج هروبا من الإرهاب، للعودة لأرض الوطن لأن الجزائر –كما قال– "نحن بحاجة إليهم، ولا غنى لهم عن وطنهم". وفى نفس السياق، قال رئيس الجمهورية عبد العزيز بوتفليقة: "إن الجزائر خسرت مرتين، حين فقدت رجالات الفكر من جراء العمل الإرهابي، وحين هرب رجال ونساء من خيرة أبناء هذا الوطن إلى الخارج خوفا من الإرهاب".

كما دعا رئيس الدولة الذين لجئوا إلى الخارج، بسبب أفكارهم السياسية إلى العودة إلى الوطن قائلا في هذا الصدد: "إن الجزائر للجميع، وكل واحد حر في أفكاره على أساس أن لا تخدم هذه الأفكار المصالح الأجنبية، أو تزرع الفتنة في البلاد"، مشيرا في ذات الوقت إلى "أن الرجوع إلى سياسة دار لقمان ممنوع الآن نهائيا"، كما جدد رئيس الجمهورية دعوته لمن ضلت بهم السبيل ممن لم يرتكبوا الجرائم الجماعية، أو انتهكوا الحرمات، أو وضعوا المتفجرات في الأماكن العمومية، للعودة للصف الوطني، مضيفا أن مرتكبي هذه الجرائم الكبرى"ستفصل في حقهم العدالة الجزائرية "التي وصفها ب"الكبيرة والعادلة"، ولدى تطرقه للعلاقات الجزائرية الفرنسية، أكد رئيس الجمهورية أن التعاون الجزائري–الفرنسي "بخير، وسنعمل على تقويته وتعزيزه بما يخدم مصلحة البلدين".

و أضاف رئيس الجمهورية قائلا:"نذود عن حوضنا ونموت دون عرضنا، ولا نقبل أن تداس كرامتنا، لكن قلوبنا مليئة بالمحبة والصداقة والأخوة مع جميع الشعوب"، وبخصوص مشروع الميثاق من أجل السلم والمصالحة الوطنية، شدد رئيس الجمهورية مرة أخرى على"أنه لا يوجد حل خارج المصالحة الوطنية"مبرزا في ذات الوقت "أن الداء جزائري لابد له من دواء جزائري".

كما ألح على ضرورة لم شمل الجزائريين، والتكفل بالمشاكل الوطنية، حتى ينعم المواطنون بالسلام نهائيا –كما قال– "الأمن والأمان والاستقرار"، ومن جهة أخرى، شدد على "أن التنمية الشاملة تبنى على السلم والاستقرار والوحدة الوطنية، وكذا التشمير على السواعد"، مبرزا أن الجزائر لها من الإمكانات البشرية والمادية، ما يؤهلها لاحتلال مكانة مرموقة بين الأمم، ذكر رئيس الجمهورية أن ما عاشته الجزائر خلال العشرية السوداء، "فتنة ليس لها مثيل في التاريخ الإسلامي، إلا فتنة صراع علي بن أبى طالب ومعاوية ابن أبى سفيان". ويضيف رئيس الجمهورية أن هذا الصراع "شوه صورة الجزائر في الداخل والخارج"حتى أصبح الجزائري –كما قال– "مشبوها في أمره، و يستحي من جزائريته "، ودعا الشباب للاعتزاز بالوطن، والتمسك بمبادئ أول نوفمبر، قائلا في هذا الصدد "لابد أن تعرفوا أن الله اجتباكم أعطاكم أرضا طيبة وسخية، لابد أن تشكروه عليها من خلال خدمة وطنكم."

ودعا الرئيس بوتفليقة، إلى فتح أبواب الاجتهاد الشرعي لمحاربة التعصب الديني، حاثا في الوقت نفسه على الإبتعاد عن افتعال ما أسماها بالمعارك الوهمية بين المذاهب والأئمة، حيث أشار إلى أن اشتداد الخلافات بين العلماء المسلمين، وغلق أبواب الاجتهاد، أسهم في الترويج لفتاوى تتهم دولا وأفرادا بالكفر.

وأنحى الرئيس الجزائري على الفقهاء المسلمين باللائمة، في ما يتعلق بظهور من وصفهم بأئمة مفركين وغوغائيين "غرقوا في جاهلية جديدة وتناكروا مع الأمة، وشقوا عصا الطاعة عنها واحترفوا الجريمة"

واتهمهم بنشر العنف و'انتهاك الحقوق.

وأشار الرئيس الجزائري إلى أن تقاعس العلماء الأكفاء وغياب مبادرات تحرير الاجتهاد والتفكير الحر والمسئول، أسهم في انتشار ظواهر مضرة بصورة الإسلام، وهيمنة أئمة لا يفقهون شيئا من مبادئ الدين.

وأوضح أن هذا الوضع قاد "إلى بسط يد الجاهلين والمتنطعين والمحسوبين خطأ على العلماء ليستأثروا بمقاليد الإفتاء في ما هم به جاهلون فيحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحل حتى انتهى بهم الأمر إلى تكفير جمهور المسلمين واستباحة دمائهم وهتك أعراضهم واغتصاب أرزاقهم".

وقال بوتفليقة إن الأجواء أضحت تنذر بخطر كبير، إذ "احتل الغوغائيون مواقع الدعوة فاغتصبوا منابر المساجد، وهيمنوا على حلقات الوعظ والإرشاد، واستغلوا بؤس الجماهير وأميتها، للتأثير في قيادتها فتحالفوا مع مافيا المال والأعمال، ليؤسسوا إمبراطورية الشر ويعيثوا الفساد في نقاط متعددة من العالم".

القرضاوي
يؤيد بوتفليقة للمصالحة والجماعات لإلقاء السلاح

وقد دعا العلامة فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة إلى مدّ يد المصالحة للجميع، وإتاحة فرصة العمل الوطني في ظل الدستور وسيادة القانون لكل الجزائريين دون إقصاء.

وقال الدكتور القرضاوي في رسالة إلى الرئيس عبد العزيز بوتفليقة: "وإني لأرجو أن تستكمل هذه الوقفة النبيلة بمدّ يد المصالحة للجميع، وإتاحة فرصة العمل الوطني للجميع في ظل الدستور، وسيادة القانون، ورعاية الثوابت الوطنية المتمثلة في الإسلام والعربية والوحدة وحق كل جزائري في المشاركة في وطن حر مستقل سيد على أرضه... "وقال: "وإنني أوجِّه دعوتي إلى الشباب الجزائري المتحمس الذي ينتمي إلى الإسلام ممن لا يزالون يحملون السلاح، أدعوهم أن يلقوا سلاحهم، ويكفُّوا أيديهم، ويدخلوا في هذا الوئام المطروح، ويستجيبوا لدعوة السلم". وأضاف القرضاوي: "نصيحتي الخالصة إليكم أيها الشباب: أن تتوبوا إلى رشدكم ودينكم، وتراجعوا النظر في موقفكم، وستجدون أنه لا مناص لكم من الانخراط في الوئام، والبعد عن الصراع والخصام، ويد الله مع الجماعة، ومن شذ شذَّ في النار". قال الدكتور يوسف القرضاوي: "إن الإسلام لم يبح للمسلمين استخدام كل الوسائل للجهاد في سبيل الله"و قال: إن الإسلام يرفض مبدأ "ميكافيللي"المعروف "الغاية تبرِّر الوسيلة"، ويشترط الوسيلة النبيلة للوصل إلى الحق، و قال إن "شرع الله لا يبيح هذا، لأنه ليس من حق المسلم أن يستخدم الأبرياء في الضغط على الظلمة، ولا يؤخذ البريء بذنب المسيء، والإسلام لم يبح لنا أن نستخدم كل الوسائل للجهاد في سبيل الله.. إن الإسلام يرفض الوصول إلى الحق بطريق الباطل".

وفي الحوار المباشر.. سئل الشيخ القرضاوي عن رأي الشرع في تصريحات قيادة حركة "طالبان"الأفغانية بأن خاطفي طائرة الركاب الأفغانية سيحكم عليهم بالإعدام في حال محاكمتهم، فقال:"إن هؤلاء الخاطفين يطبق عليهم حد "الحرابة". يُذكر أن عقوبة الإسلام للحرابة (السعي بالفساد في الأرض) هي القتل، وهي العقوبة التي تطبَّق في الأصل بحق قطاع الطرق.

خـــــاتمـــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد بدأ العنف منذ بداية الحياة الاجتماعية للبشر، و بالرغم مما وصل الإنسان إليه من تقدم علمي وتكنولوجي هائل، و من الحياة المتحضرة، إلا أننا نجد قاعـــدة العنـــف الهمجـــي والإجرام على الأبرياء لتزال موجودة بشكل أو آخر، ولا تقتصر على أفراد فحسب، بل نجدها بين المجموعات وفي الدول، فقد اتسعت دائرة العنف، و شهد مسرح الدول أحداث عديدة من النشاطات الإجرامية التي امتدت إليها بلا حدود، فأصبح الهاجس الذي تعيـــشه هـــذه الـــدول بتخوف لا يكاد يمر يوم دون أن تقع عملية إجرامية في مكان من العالم، إنه نوع خطير مـــن الإجرام، إنه ظاهرة خطيرة تهدد المجتمع، إنه آفة فضيعة، استشرت في بلدان العالم كافة، إنه مولد للرعب والترويع.

إنه موضوع حساس، فبعد ذيوع صيت الأعمال الإجرامية، من هنـــا وجـــب علينـــا التركيز على هذه الظاهرة بحماس، فقد أصبح العنف ضد الأبرياء، من أهم المظاهر بـــروزا على الساحة الدولية والداخلية، علينا أن نستأصل شأفة الإجرام، بدرجة من الوضوح واليقين، علينا أن نفهم أشكاله الحقيقية ودوافعه الإجرامية، خاصة حينما يطبق المثل الـــشائع:"العـــرب إرهابيون، و المسلمون إرهابيون"

و قد قال فولك:"لماذا يوجد إرهابيون جيدون وإرهابيون سيئون"علينا أن ندرس أسباب وخلفيات الإرهاب من كلتا الجانبين، بشيء من التمحيص والتجـــرد والاتـــزان، و أن نلقـــي الضوء كذلك على المسؤولية عن أعمال المجرمين، لمكافحتهم أي لمعالجة الموضـــوع مـــن زواياه المختلفة.

و تكمن هذه الدراسة في تمحيص هذه الدراسة، من وجهة نظر قانونية للتحقيق فيمـــا إذا كان للإرهاب أي مركز في القانون، وما العوامل المؤدية على ذلك؟و ما مـــدى التعـــاون لمكافحته على المستوى الدولي؟

و ما العقبات التي تحول دون اكتمال التعاون؟و ما التصور الأمثـــل لمواجهـــة هـــذه الظاهرة على المستويين الدولي والداخلي، هكذا حتى نخرج من العـــيش فـــي حقبـــة هـــوس الإرهاب.، فإبادة الجنس البشري انتهاك عظيم لحقوق الإنسان والحريات الأساسية له، أين تتم الوحشية العمياء والعنف، فانه يعتبر الخطر البادي للعيان، التهديد الرئيسي لجيلنـــا والأجيـــال المقبلة.

أثاره بوجه عام تخطى أثار موضوعات عديدة، ربما لخطورة الوضع...أو من أجل المحافظة على الأمن والسلم الدوليين، من إبادة الجنس البشري، وتتمثل الخطورة البالغة في مساسه بأمن البشرية ورعب الأفراد، فإنه أشبه كالسرطان أو كالفيروس كما أسموه العديدين:Cancer of moder world

فخطره لا يقل عن الأوبئة والأمراض الخطيرة، التي تهدد المجتمعات، لتسقط معنوياتها وتزيد من حدة الخوف فيهم.

فالرغبة واضحة لدى أمريكا، بإنشائها تحالف دولي تقود به العالم لخدمة مصالحها الخاصة، التي كانت تخطط لها منذ أمد بعيد، فقد عمدت في ذلك بتأثيرها على أن الدين الإسلامي، بإبراز جانب صغير من المشكلة في حجم مكبر ضد الإسلام، و كفانا يا غرب من الديمقراطية الكاذبة، هناك مثل فرنسي يقول:L'arbre qui cache la foretالشجرة التي تخفي وراءها غابة، فقد اقتصر نظرها على الشجرة التي تخفي وراءها غابة، فلم تعلم ما وراء ديننا من القيم المثلى، فالدين الإسلامي بعيد كل البعد عن هذه الظاهرة، فالخلل يكمن أن صاحبه أول الظروف فهمه الخاص للنصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، إلى تأويله الخاص، و كل ذلك كان بدعاية الإعلام الغربي والصهيوني، لإلصاق ظاهرة الإرهاب بالدين الإسلامي فظل بذلك شعار سياسي يجرى استخدامه بشكل دائم.

و لقد ابتعدت عن تكرار كلمة الإرهاب، لأن الغرب قد استعملها للدفاع عن النفس، على حد زعمه في أساليب عدة وأخرى تبرر أعمالهم، لذلك حاولت استبدالها بكلمة الإجرام، فلم يتفق العالم على مفهوم واحد يجمع في تعريف كلمة الإرهاب.

فيجب علينا إزالة الغموض واللبس، الذي يكتنف هذا الشعار، بإبراز تقنية العنف وتكنولوجية القمع التي نشطت في دعمها وتشجيعها وتطويرها، و خلصت إلى تقدير هذه الظاهرة، أن أدعوا بقيام إصلاحات ونهضات مختلفة في كل المجالات سياسة كانت أم اقتصادية أو اجتماعية، تاريخية أو فنية...من شأنها تدعم استقرار المجتمع، وتخرجه من دوامة الجهل والتخلف القابع به، إلى نهضة كبرى عربية وإسلامية، فنعم الشباب، شباب ينظرون إلى المستقبل بواقعية، ويدفعون ضريبة العرق من أجل تحقيق الاستقرار.

قدمت هذه الرسالة عن الإسلام النقي بنصاعته وثوابته على مناهج النبوة، و المحبة البيضاء نقيا من الشوائب، و محررا من التقليد والعصبية والتشدد التعصب، و التطرف، بأسلوب بسيط لخدمة الدين بالدفاع عنه، لزرع الفرحة الصادقة في النفوس، و استخراج معاني التفاعل من عمق المأساة والحزن والإحباط، و ترسيخ قيم الحوار المثمر البناء، حول الأشياء المختلف فيها وإيضاح موقف الإسلام من قضايا عديدة، خاصة منها الإرهاب وربطه

بالإسلام، للرد على الطاغين فيه بمخاطبة الشرائح المتعددة لبيان الحقيقة لهم، لتضيء جوانب مهمة مخاطبة عقله وروحه ووجدانه.

يقول العلماء: "إن نصف العلم لا أدري "، يريدون بذلك أن يتريث الإنسان في الحكم على الأشياء، و لا يتكلم فيها إلا أذا عرفها على حقيقتها وأحاط بها علما، كي يكون صائبا وبعيدا عن الخطأ، فالعلم بحر واسع بعيد الغور متلاطم الأمواج، و كلما ازداد الإنسان علما ازداد جهلا، لأنه يرى ما تعلمه بالنسبة إلى كثرة المعارف والعلوم قليلا كقطرة من البحر"لذلك علينا أن نبدأ بفهم الإسلام تدريجيا، حتى لا نظل طريقنا، فلا بد لنا إعطاء مزيدا من الإنفتاح وتكريس الديمقراطية الصحيحة والتوعية الدينية.....و فتح آفاق جديدة للأجيال القادمة، فكلها عوامل من شأنها إذا عمل بها أن تقضي من تزايد هذه الظاهرة، التي تهدد الأمن والسلم والاستقرار.و أيضا ظاهرة أن يسأل الناس من هب ودب، في الأمور الدينية، و غالبا ما يكونون مغترين بمظاهره الذي يوحي لهم، أنه ممن يسأل في أمور الدين، بل الواجب أن يسألوا العلماء المختصين لقوله تعالى:"فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون"الانبياء٤ –ظاهرة الفتوى التي تعد بدورها، مؤشرا على خلل في التدين وضعف في الإيمان من قبل من ليسوا بأهل الذكر، و التطاول على العلماء وأدعياء العلم والفقه، أمر خطير ينبغي أن يلقى استهجانا من الجميع، و قد شاعت بين السلف مقولة:"لحوم العلماء مسمومة، و عاده الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة، و من وقع في العلماء بالثلب ابتلاه الله قبل موته بموت القلب"

و كما قال فخامة الرئيس عبد العزيز بوتفليقة:""إلى بسط يد الجاهلين والمتنطعين والمحسوبين خطأ على العلماء ليستأثروا بمقاليد الإفتاء في ما هم به جاهلون فيحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحل حتى انتهى بهم الأمر إلى تكفير جمهور المسلمين واستباحة دمائهم وهتك أعراضهم واغتصاب أرزاقهم".–من الخطأ الكبير الظن بأن التشديد والتحريم من الفقه، كما ظن الذين يقدمون الإسلام، على أنه قائمة طويلة من الممنوعات فحسب، فهذا إمام التابعين سفيان بن عينية يقول:"إنما الفقه الرخصة من ثقة، أما التشديد فيحسنه كل أحد"من كل هذا ما همني في واقع الأمر هو التحليل على أسس، و افتراضات واقعية لما حصل للدول والأمة العربية والإسلامية، بأن نتجاوز أخطائنا وندركها حتى لا تقع فيها أجيالنا القادمة، يجب أن نمشي قدما، و نكون عمليين نصنع حضارتنا بأنفسنا، و نقوم بنهضة، تغير التاريخ من الأسوأ إلى الأحسن، تمحو الصراعات والتفرقات تقضي على الانهيارات السياسية، و الاقتصادية والاجتماعية والثقافية المختلفة، للأمة العربية والإسلامية، يجب أن نبدأ بنهضة التجديد، نهضة البديل بالأحسن، لا بالتخلف والجهل، ولا بأعمال العنف، و إنقاص حقوق الإنسان في الدولة، لا بتقييد الحريات ولا بترك الحبل على غاربه، ولا لخلق البلبلة ضمن مخطط مدروس، بل

بمواجهة معترك الخصم، وبتوحيد الأمة العربية والإسلامية، لنقوض أركان القوى الكبـــرى، فلنقل كما قال العلماء "نختلف فيما اختلفنا فيه، و ليعذر بعضنا البعض"

و أنا كإنسانة أرفع صوتي عاليا كي يصل أذني كل وطني شريف، مدينا مثـــل هـــذه الجرائم التعسفية للأبرياء والمواطنين وللعرب والسلميين، الذين حاولوا مواصلة زرع الفـــتن الفتاكة، المنوطة بهم لإنجاز أهدافهم الموضوعة ضدنا، فهناك اقتراحات إيجابية كثيرة يجـــب أن نسعى إليها، لنجد حلقات الوصل المفقودة، فكل شيء له هدف في الحياة، من هذا الطريـــق أقدم توصياتي ومقترحاتي:

- التعايش السلمي بين كل البلدان في العالم.
- السعي للحد من هذه الأزمة في بلدان العالم ككل.
- تكثيف الجهود للقضاء على أسباب الإرهاب.
- تأكيد العلماء المسلمين ضرورة مكافحة التعصب والفتـــاوى الزائفـــة، وأئمتهـــا ذات العقول الخالية من الفهم الحقيقي للإسلام.
- القيام بنهضة لا تدعوا إلى أي مذهب بل إلى كل المسلمين بدون حدود.
- الدعوة إلى السلام، إلى حماية النساء والأطفال، إلى تحقيق الأمن والـــسلم الـــدوليين وخاصة كما قال الرسول صلى اله عليه وسلم:"أستوصيكم بالنساء خيرا "و كـــذلك "من لم يرحم صغيرنا فليس منا ".
- المساءلة والمتابعة الجنائية للمسئولين دون، تمييز عن مدبريها ومنفذي هذه العمليات الإجرامية، في كل دول العالم، أو ملحقي أضرار برعاياه أو ممتلكاتها حتـــى ولـــو كانوا من دول الغرب.
- حماية الأديان بعدم الإساءة إليها، خاصة الدين الإسلامي ورسوله الكريم.

من خلال العرض السابق للقضاء المفروض، وللأحداث الجديدة تبين لـــي بوضـــوح، مدى الخطورة البالغة، التي تحدق بالعرب والمسلمين، من جراء تزايد وانتشار هذه الجرائم، و خاصة الإساءة إلى النبي الكريم، الأمر الذي يحتم علينا ضرورة التصدي لهذا، حتى لا يبقـــى العجز عن حماية ديننا ورسولنا، بعدم وجود قوة لفك هذه الطلاسم عليه.

إذا اتبعنا هذه الإرشادات، أعتقد أنها تكون العامل الهام في ضمان نجاح المبـــادرات، للقيام بنهضة عربية وإسلامية التي أؤكد دوما عليها، لتخرجنا من الاستغراق العميق في الجهل بأنواعه، لأن شاشة العالم العربي تزخر بأناس ينجزون أعمالا بطولية غيـــر عاديـــة، حيـــث نحتاج إليهم بأمس الحاجة، لدعم هذا الموضوع الحساس لقيادة برامج طموحة وقوية لتقليص، حجم معاناة الشعوب العربية والإسلامية من التخلف، فمتى تكافلنا وتضامنا من أجـــل تحقيـــق الوحدة، وصلنا إلى البعيد، فمن المفروض أن لا تنكون بيننا حدود تحدنا، بل لا نكون شـــمعة

بل شعلة رائعة، تبقى جذورها مشتعلة متأججة نحو السماء، إلى أجيال قادمة، هذه هي المتعـــة الحقيقة في الحياة، و سأكون أسعد إن كسرنا دائرة الفرقة.